

نَقْدٌ عِلْمِيٌّ
لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ
بُحُوثٌ فِي مَرَاتِبِهِ وَمُعْطَيَاتِهِ

(مجموعة محاضرات)

ألقاها سماحة الشَّيْخِ الدُّكْتُور
عبدالكريم العُقَيْلي (دامَ ظِلُّهُ)

ناقش فيها كتابَ التَّوْحِيدِ
لِلسَّيِّدِ كَمَالِ الْحَيْدَرِيِّ

كتبها
أحمد مصطفى يعقوب

الكويت
الطبعة الأولى
٢٠١١م

هوية الكتاب

- اسم الكتاب: نقد علمي لكتاب التوحيد بُحوث في مراتبه ومُعطيّاته
- (مجموعة محاضرات)
- ألقاها سماحة الشيخ الدكتور / عبدالكريم العُقيلي (دام ظلّه)
- ناقش فيها كتاب التوحيد للسّيد كمال الحيدريّ.
- اسم الكاتب: أحمد مصطفى يعقوب.
- سنة الطبع: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
- البريد الإلكتروني: www.oqaili.com
- E-mail: shaik-aloqail@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٤٣)

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس: ١٢).

الشَّيْخ الصَّفَّار بسنده عن مُحَمَّد بن سَلِيم قال: سمعت أبا جعفر
عليه السلام يقول:

«أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ عِنْد أَحَدٍ عِلْمٌ وَلَا حَقٌّ وَلَا فُتْيَا إِلَّا شَيْءٌ أَخَذَ عَنْ عَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمَا مِنْ قَضَاءٍ
يُقْضَى بِهِ بِحَقٍّ وَثَوَابٍ إِلَّا بَدَأَ ذَلِكَ وَمِفْتَاحَهُ وَسَبَبَهُ وَعِلْمُهُ مِنْ عَلِيٍّ
وَمِنَّا، فَإِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ قَاسَوْا وَعَمَلُوا بِالرَّأْيِ وَكَانَ الْخَطَأُ مِنْ
قَبْلِهِمْ إِذَا قَاسَوْا، وَكَانَ الصَّوَابُ إِذَا تَبَعُوا الْآثَارَ مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

(بصائر الدرجات / ٦٧٤).

هذه الكلية الموجبة صادقة على كل شيء وفيه، من العرش إلى
الفرش ممّا كان أو يكون، من علم ظاهر أو مكنون، كلّ ذلك قد نزلَ
من تلك العين الصّافية التي يَنحدرُ عنها السَّيْلُ ولا يَرْقى إليها الطيرُ
فافهم السرَّ وما حوى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المعد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين
سيد الكائنات أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن
الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

التقيتُ في حياتي بالعديد من رجال الدين وأهل العلم، وقد مرَّ
عليّ الكثير منهم مرور الكرام، ودرستُ عند عددٍ من المشايخ والعلماء
واستمعت لهم جميعاً بإمعان باحثاً عن الحقيقة وأسرار أهل البيت
العظام عليهم السلام، حتّى التقيتُ قبل سنواتٍ قليلةٍ بسماحة الشيخ
عبد الكريم العقيلي دام ظلّه، فوجدتُ عنده ضالّتي فهو قويّ العقيدة
ومتبحّرٌ في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم،
فكان وما زال أستاذاً عالماً ووالداً حنوناً، ولسماحته حتّى كتابة هذه
السطور أكثر من ٥٠٠ درس في التوحيد الخالص الذي تخصّص به،
مضافاً إلى العشرات من المؤلفات والمحاضرات والإفادات ومجلس
المذكرات في داره وغيرها من المواطن، وقد قدّم لي سماحته قرصاً
فيه محاضرات ناقش فيها كتاب التوحيد للسيد كمال الحيدري، كما
قدّم لي نسخةً من الكتاب وفيه هوامش وقصاصات أرفقها سماحته
بعد أن قرأ الكتاب بدقّة شديدة وبراعة فائقة النظير، فقمنا بتوفيق

الله وتسديده بكتابة هذه المحاضرات وتقريرها، ثم قدّمنا ما قمنا بعمله لسماحته للمراجعة، ومن ثم ارتبنا طباعتها تعميماً للفائدة، وتخليصاً لشيعه أهل البيت عليهم السلام من ربقه الخلط في المقامات، واللبس في الصفات، وبيان الرأي السديد طبقاً لما روي عن أركان التوحيد أئمة الهدى ومصابيح الدجى عليهم السلام، هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أحمد مصطفى يعقوب

للتواصل Tanwerq8@hotmail. com

للتواصل عبر برنامج تويتر @bomariam111

نبذة عن الشيخ

الدكتور عبدالكريم العقيلي

وُلِدَ في عام ١٩٥٩م في جنوب العراق ويسكنُ حالياً في الكويت، وكان مجاهداً يُجاهد النظامَ البعثيَّ منذ صباه إلى أن اضطرَّ للهجرة إلى إيران، ودرس عند عددٍ من العلماء والمراجع الدروسَ الحوزوية وله إجازات من بعض مراجع الدين وأساتذة الحوزة العلمية، وكذلك وكالات من البعض الآخر - راجع السيرة الذاتية لسماحته في كتاب التوحيد الخالص^(١) - ولسماحته عدَّة إصدارات منها:

- ١- رسالة الأسرار المكنونة في معنى طه ويس.
- ٢- رسالة مختصرة في المراد من الشاهد والشهيد.
- ٣- رسالة هامة في إثبات ضرورة وجود المعصوم في كل زمان ومكان.

(١) كتاب هامٌّ فريد في موضوعه، يتناول حقيقة التوحيد الخالص والمقامات الحقَّة للأسماء الحسنَى، وهو -أساساً- دراسات منهجية على كتاب التوحيد للشيخ الصدوق رحمه الله، دامت أكثر من سبع سنين، وتصل إلى عشرة مجلدات طبع منها المجلد الأول، وسيصدر المجلد الثاني إن شاء الله قريباً، وهو من تأليف سماحة الشيخ عبدالكريم العقيلي، لذا ينبغي على كلِّ باحث ومطلِّع إقتناؤه والاهتمام بمطالبه، والله الموفق.

- ٤- رسالة في علّة خوف الإمام الحُجّة (عجل الله تعالى فرجه الشريف).
- ٥- القول الوجيز فيما أُفيد من وقوع الطلاق المعلق.
- ٦- رسالة وجيزة في المراد من البصمة الوراثية وحُكمها في الشريعة المقدّسة.
- ٧- رسالة في جريان قاعدة البراءة في الأحكام الوضعية.
- ٨- دراسات في الكافي الشريف.
- ٩- دراسات في تفسير وتأويل القرآن.
- ١٠- دروس في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.
- ١١- شرح دعاء البهاء.
- ١٢- ظلمات فاطمة الزهراء (عليها السلام) (موجود على شبكة الانترنت).
- ١٣- أبحاث في سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب (موجود على شبكة الانترنت).
- ١٤- بيان المعنى في الثقل الأصغر الأسمى (موجود على شبكة الانترنت).
- ١٥- التّوحيدُ الخالصُ الجليّ ونسَفُ قواعدِ الشّركِ الخفي ج ١.
- ١٦- الإجتهد والتقليد، دراسات فقهية ضمن سلسلة في أبحاث الفقه الإمامي.

١٧- سرّ الوصول إلى عِلْمِ الأصول- الجزء الأول- مطبوع وسيليه الجزء الثاني.

والكثير من الإصدارات التي لم نذكرها لعدم الإطالة، ومازال مجلسه المبارك مفتوحاً لجميع المتعطّشين لعلوم آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم طوال الأسبوع، وقد خَصَّصَ سماحته أياماً لدراسة الفقه، وأياماً لدراسة التوحيد، وأخرى لدراسة موسوعة بحار الأنوار، هذا بالإضافة إلى كثير من البحوث والدراسات التي تتخلّل هذه الأيام والساعات، ويستعدُّ سماحته حالياً لاستقبال الجزء الثاني من كتاب التوحيد الخالص الجلي، كما يستعدُّ سماحته لاستقبال شهر رمضان المبارك وفي كلّ عام بإذن الله، حيث يكون مجلسه ليلاً يحتوي على دروس في قراءات في بحار الأنوار، ودراسات فقهية، وتدبر في السور القرآنية، بعد تلاوتها من قبل طلاب درسه والمشاركين فيه، والذين هم من أبناء دولة الكويت ومن أصحاب الشهادات والدراسات الأكاديمية العليا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة سماحة الشيخ

الدكتور عبد الكريم العُقيلي

الحمد لله حمداً بلا عدٍّ، وإثباتاً بلا حدٍّ، حمداً لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون. والصلوات الزاكيات على أسرار المقامات، وأصل الكلمات التامات، التي من ذاق من شجرتها رقى، وتحت ظلها الظليل سَمَى، محمد المصطفى وآله حقائق مقام أو أدنى، واللغة الدائمة على من غوى وأغوى، في غياهب الجهل والهوى، ومن منع إبليس الغوي عن الهدى، وعن صفوف الملائكة في السجود نهى، متعزراً بخلقه النار، مُستوهناً خلق الفخار.

وبعد:

فقد اعتمد جُلُّ النَّاسِ على ما دون الرجال وكفى، وعولوا على ما توهمت العقول والحجى، ومالوا عن شرعة أولي النهى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، فوقع من وقع في خبط وشماس، وأخذوا شرائعهم وعقائدهم بالقياس، ولو علموا أن إبليس وقبيله أول من قاس، لاستعاذوا برَبِّ النَّاسِ، وتحصنوا بمدينة العلم وبابها ومن خلال ديارها جاس. في الوقت الذي نشهد صحة في معرفة الأسرار والتدبر في النصوص والآثار، وبالخصوص الشباب

الأوفياء بإقبالهم على البحث والتتقيب في سَبَرِ غُورِ الكلمات والأقوال المدونة في بساطين الأخبار وحدايق الأبرار، وتقبلهم حقيقة مَنْ رام وراء ما هناك - أي المقامات - فقد هَلَك، بل وَمَنْ فَكَّر في ذات الله في طخية عمياء قد سَلَكَ. لذا فقد انثالوا على مولا هم الحق من كلِّ جانب، وتبرَّؤا فيما يتقولُه بالتوهم الأجانب. وبين هذا وذاك تجول الأفكار وتحوُّم الآراء على ما يُقال ويُنشر، وفي أوساط الملاء من الناس يُنشر. رأيتُ كتابَ التوحيد للسَّيد كمال الحيدري حفظه الله مقررًا أبحاث ما فيه أحد تلامذته ومتابعيه، فوجدتُ فيه تناقضاً بيِّناً تارةً، واضطراباً في بيانه تارةً أخرى، وخلطاً صريحاً بين الصفات والذات وفي عدد الصفات الذاتية مرَّةً ثالثة. فقد صرَّح - كما سترى في مطاوي البحث - إنَّ مشهور الفلاسفة كان يرى أنَّ الصفات الذاتية سبعُ صفات التي هي عين الذات.

ثمَّ بيَّن رأي السَّيد الطباطبائي في نفيه صفتين من الصفات، وهما الإرادة والكلام في مقام الذات، فأصبحت خمسَ صفات، ثمَّ رأى العلامة ضمَّ اثنين منها إلى الصفات الأخرى فأضحت ثلاث صفات. وهنا بدا للسَّيد الحيدري ضمَّ اثنين من الثلاث إلى صفة واحدة، فأمست كلها مُنضمَّةً في صفة «الحياة».

فجاسوا - كما ترى أيُّها القارئُ الحبيب - خلال ديار الذات، مع أنَّها لا اسمَ ولا رسمَ ولا صفةَ ولا نعتَ ولا زمانَ ولا مكانَ ولا كيفَ ولا فيمَ ولا علامَ ولا ممَّ ولا إلىمَ. وتصريحهم - كما أشرنا إليه في متن هذه

العبارات- في أكثر المرات نفى دَرْك كُنْهِ الذات ومحالية ذلك بتاتا .
 فهل يُعقل هذا؟ وما عساني أن أقول في خضمِّ صُور التَّوَهُّم وفِكر
 التحكّم، وليت شعري إلى أيِّ إسنادٍ استندوا، وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا،
 فنَسَبُوا وحَذَفُوا أو ضَمُّوا، وما الدليل على تجويز ذلك وتسويغ العدِّ
 في صفات ذاته، وليس المقام يحتمل ذلك إلاَّ الإثبات ونفي الحدِّ
 والعدِّ، كما أشار مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس لصفته حدٌّ
 محدود، ولا نعتٌ موجود، ولا وقتٌ معدود، ولا أجلٌ ممدود».

وتلاه الإمام الهمام جعفر الصادق عليه السلام: «لم أحده ولكني أثبتته».

وأخيراً فقد عرفت من مطاوي ما قدّمته، وما سيأتي في متون
 ما نقدّمه عظيمَ الكلام وجسيمَ البيان، الذي أخذ بجرانه مساحاتٍ
 واسعة من عقول الناس، فغزا حقل العلم، وسطا على الفهم، وما بين
 يديك أيُّها العزيز، هو دراسةٌ لتلك الآراء والأنظار، قام بإخراجها من
 ميدان الخطابة إلى ساحة الكتابة، قُرّة عيننا تلميذنا البار والمدافع
 عن مقامات الأَطهار والذابِّ عن حرم الأئمة الأخيار الأخ النبيل أحمد
 مصطفى دام مجده ولطفه ونفع الله به الناس. وآخِرُ دعوانا أن
 الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على النبي الأعظم وآله الاسم الأتمَّ
 عدَد ما في علمه ودوام مُلكه.

٥ شعبان المعظم مولد الأنوار وسادة الأبرار سيد الشهداء

والإمام زين العابدين وقمر الأقمار

ونور الأنوار علي الأكبر عليهم السلام عام ١٤٣٢هـ

عبدُ الكريم العقيليُّ



المحاضرة الأولى

■ تتضمن المطالب التالية:

- تنويه وتنوير.
- مناقشة أن الوحدة الحقّة الحقيقية عين الذات.
- التناقض البيّن في نفي معرفة كُنّه الذات، وفي وصفها والحديث عنها.
- نظرية السيّد الطباطبائي في تفسير الميزان في تنزيه الذات عن الاسم والصفات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله آل الله.

■ تنويه وتنوير:

قبل عرض المناقشة في عباير ما ورد في كتاب التوحيد، وقبل الوقوف أمام أهم مطالب الكتاب، نُشير إلى أن دأب الحوزات قائم على مناقشة الأنظار والآراء، وهذا يُعدُّ قِمة الحرية العلمية والفكرية، وهو دأب العلماء وديدن الباحثين في السياحة والنظر في الأبحاث المختلفة والمطالب المتنوعة، والذي يوجب في المآل إلى إذكاء الفكرة وترسيخ النظرة، وفقاً للدليل الأقرب المستند إلى العقل والنقل والبرهان والوجدان للوصول إلى المنشود، وقد قدّمنا هذه المقدمة لكي لا تتخذ هذه المناقشة ذريعة من قبل البعض للتعارض والإختلاف، إنما جل ما نريده هو الوصول إلى الحق والصواب من الرأي في خضم بحر التوحيد الزّخار، وإنّا لنكنُّ كامل الاحترام للسيد المحقق حفظه الله، فيما يقوم به في مقام الدفاع عن الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم، إلا أن ذلك لا يعني أن كل ما كتبه أو قرره في بحوثه ودروسه وكتبه تاماً من كل الجهات، ومسلماً من كل الحيات، وهذا ما لا يقول به فاضل فضلاً عن عالم، فتفهم القول.

الكتاب مؤلف في موضوع التوحيد، وسوف نقوم بتسجيل الملاحظات الواحدة تلو الأخرى، وناقشها عقلاً ونقلاً حتى نأتي على ما يمكن

التوافق عليه وما يكون فيه نظر، ولنعطف عنان القلم إلى ما ورد من تقرير كلماته في التوحيد، ولا ندعي فيما سجّلنا أو أوردنا من المناقشات كمالاً وتاماً، بل ندع الأمر لأولي الإنصاف للحكم على ما قال وما يُقال، طبقاً للعقل السليم والنقل عن المعصومين عليهم السلام أجمعين.

فنعول: وبالله المتعال المستعان.

ورد في المجلد الأول^(١) ص ٥١: تحت عنوان معنى الوحدة، قال: للعرفاء تقسيم للوحدة أيضاً، حيث قسّموها إلى وحدة عديدة ووحدة غير عديدة، بعبارة أدقّ إلى وحدة عديدة، ووحدة حقّة حقيقية، فهي «حقّة» باعتبار أنّ للحقيقة أقساماً، وليس المراد أنّ يُوصف الله سبحانه بأيّ واحدة من تلك الأقسام، بل المراد أنّ يُوصف بالوحدة الحقّة الحقيقية التي هي عين الذات لا أنها صفة زائدة عن الذات، فالصفة -في حال وصف الله بالوحدة- ليست شيئاً زائداً على الموصوف بل هي عين الموصوف (انتهى كلامه).

وعلى ما نقله - سواء كان متبنياً له أو كان في مقام النقل فحسب- فإنّه تصرّح بأنّ الوحدة الحقّة الحقيقية عين الذات، وهو غير معقول وغير مقبول، سواء ما فهمه العرفاء أو ما أراد السيّد أن يقوله، وذلك بملاحظة ما سجّلناه هنا بما يلي:

(١) التوحيد بحوث في مراتبه ومعانياته، بقلم جواد علي كسار تقريراً لأبحاث السيد كمال الحيدري، دار فراق للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤م.

- ما هي الوحدة؟ هل هي شيء حقيقي وجودي خارجي معين مشخّص في واقع الأمر؟ الحقّ المطابق للواقع، هو أنّ الوحدة مفهوم انتزاعي تُنتزَع من الشيء الذي لا يكون في مورده ثان، تأمل المثل الذي نضربُه لك هنا، وهو أنّه لو كنت في صحراء ولم يكن معك شخص آخر، فإنّه يُقال لك والحالة هذه أنّك «واحد» وهذا بلحاظ كونك لم يكن معك آخر، فالأولى والآخريّة صفتان إضافيتان، فإنّه باعتبار أنّ أيّ شيء يُضاف إلى من بعده أو إلى من قبله فيقال الأول- الآخر، فالوحدة ليست من الذاتيات، فلو كانت الوحدة عين ذاته لتركّب ضرورة من الذات والوحدة، كما أنّه يُنقض على ما ذكر كما سيأتي وتحديدًا في ص ١٢٥ حيث ذكر عن المشهور، أنّ الصفات الذاتية سبع، ثمّ قال: إنّ العلامة الطباطبائي جعلها خمساً أي ردّ صفتي الإرادة والكلام المنسوبتين إلى ذاته، لأنّ المشهور عند الفلاسفة أنّ صفات ذاته هي: الحياة- العلم- القدرة- السمع- البصر- الإرادة- الكلام.

ثم قال السيّد، إنّ العلامة في نهاية الحكمة، ص ٣٠٧، قال بتحليل العقلي ندمج صفة السمع والبصر في العلم، فلا يبقى سوى الحياة والقدرة والعلم، فانتهى إلى ثلاث صفات بعد دمج السمع والبصر في العلم.

- فعلى هذا كيف تكون الوحدة عين الذات؟ فأين هذه الصفة من الصفات التي عدتها في الصفحة المذكورة. فلم تذكرها هناك؟ فكيف صارت هنا عين الذات وعندما نأتي للصفات التي عدتها لا نجد لها ذكراً.

مع العلم أنَّ الواحدية مقام ملحوظ كما أشارت إليه الروايات التي رواها العلَّمان الصَّدوق والكليني قُدَّسَ سِرُّهُمَا في الكافي والتوحيد في أبواب حدوث الأسماء، والجدير بالذكر هنا، أنَّ السيِّد لم يتعرَّض لهذه الروايات في هذا المقام خصوصاً رواية هشام الصحيحة سنداً، فالوحدة من المقامات الإسمية الملحوظة، حتَّى أنَّ السيِّد الطباطبائي ذكر في الميزان أنَّ الواحد الصمد والإله والرحيم والرحمن أسماء، لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وقوله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾. وإليك نصَّ عبارته، وسنشير إلى البعض الآخر في مظانِّه: ولازمه أن يكون اسمُ الجلالة الكاشفُ عن الذاتِ المستجمعة بجميع صفات الكمال اسماً من أسماء الذات دونها، ودون الاسم المكنون المخزون، وكذا «تبارك» و«تعالى» ثلاثة أسماء معاً وسدنةً وحجَّاباً للاسم المكنون، من غير أن يتقدَّم بعضها بعضاً. وهذه الحجَّاب الثلاثة والاسم المكنون المحجوب بها جميعاً دون الذات، وأمَّا هي فلا ينتهي إليها إشارة ولا يقع عليها عبارة، إذ كلُّما تحكيه عبارة أو تُومئ إليه إشارة اسمٌ من الأسماء محدود بهذا النحو، والذات المتعالية أعلى منه وأجل. (انتهى كلامه)^(١).

- وفي ص ٦٧ قال: أما وأنَّ الله سبحانه قاهر غير مقهور، وغالب لا يغلبه شيء مطلقاً، فلا تتصور في حقِّه وحدة عددية ولا كثرة عددية، وبذلك فإنَّ القرآن يُثبت من الوحدة ما لا يستقيم معه فرض أي كثرة،

(١) الميزان: ج ٨، ص ٣٦٥.

أو تمايز لا في الذات ولا في الصفات، وكل ما فرض من شيء في هذا الباب كان عين الآخر لعدم الحد، فذاته تعالى عين صفاته، وكل صفة مفروضة له عين الأخرى (انتهى كلامه).

- وفي ص ٧٣ قال: فما من صفة كمالية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والعزة والقوة والغنى، وأي كمال آخر مفروض إلا وهو موجود له سبحانه، وكلما فرضنا شيئاً من الأشياء ذا شيء من الكمال بإزائه (سبحانه)، ليكون ثانياً له وشريكاً عاد ما بيده من معنى الكمال لله محضاً (انتهى كلامه).

- أي أن كل ما يفترض من الكمالية والجمالية فهو يعود عوداً بشكل ممحض لله.

- وقال في ص ٧٢-٧٣: أمّا الوحدة الحقة الحقيقية فيلازمها عدم المحدودية وعدم التناهي، وهذه من أهم صفات الله الثبوتية التي تعني أن ليس لله حد ولا له نهاية. (انتهى كلامه)

- وهذه الكلمات تؤكد النظر الذي أشرنا إليه، وهنا يلاحظ في مقام ثانٍ ففي ص ١٠١ وما بعدها، يقول باستحالة المعرفة بالكنه أي لا يمكن معرفة كنه ذاته تعالى، ونقل العبارة كاملة^(١): من النتائج التي تثبت على التوحيد الذاتي ببعديه الواحد والاحدي، استحالة معرفة الله بالكنه، إذ لا يمكن أن نقف على ذاته وكنهه وحقيقته (يا من لا

(١) ص ١١٤ ما يتعارض مع ما ذكره.

يعرف ما هو (إلا هو) فحيث ثبت أن الله (سبحانه) غير متناه وما عداه متناه، فمن المحال أن يُحيط المتناهي باللامتناهي وأننى له ذلك، فلو أن الإنسان اكتنه حقيقة شيء ووقف على كنهه فقد أحاط به، ولو كانت تلك إحاطة علمية، ولما كان الواجب (سبحانه) لا متناه، فمن المستحيل للإنسان أن يكتنه، حيث لا يمكن للمتناهي - كما مر - أن يُحيط به علماً، وفي هذا الاتجاه راح القرآن الكريم والمأثور من حديث النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم يُحذران الإنسان من الإنزلاق إلى هذا الوادي السحيق، لما يُفضي إليه من تيه وضياح وضلال، فمن حيث القرآن ثم آيات عديدة تُثبت حقيقة عدم إمكان الإحاطة به علماً، منها قوله سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(١).

وفي رد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على أسئلة وشبهات أبي قرّة المحدث، أن الإمام احتج في دفع الرؤية بقوله سبحانه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ حيث قال عليه السلام: فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة^(٢). والمعرفة التي يَغْنِيها الحديث، هي المعرفة الإحاطية. وكذا الحال إذا وقع كنهه في العقل، وإذا وقعت هويته وذاته فيه أيضاً. وتوضيح ذلك، أن الإحاطة على ضربين، إحاطة بصرية وإحاطة بصيرية (نسبة إلى البصيرة) تقع في القلب، والقرآن ينفي

(١) سورة طه: آية ١١٠.

(٢) الكافي ج ١، ص ٩٦.

الإحاطتين كليهما، فأنت إذا قلت (إنَّ الإنسان حيوان ناطق) فقد عرفت هويته، ومعرفة هوية ذات الحقِّ محال، لاستحالة الإحاطة بضربيهما، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته ^(١). إذ يجمع النص في توازن دقيق بين استحالة الإحاطة كُنْها وإمكان المعرفة في حدِّها الواجب، وربما أشار بعض المفسِّرين إلى استحالة المعرفة الكنهية وتحذير القرآن منها، بقول الحق سبحانه ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ^(٢)، حيث لا يمكن لأحد أن يبلغ ذلك المقام.

من روائع كلمات أمير المؤمنين في هذا المجال قوله عليه السلام: «فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعد الهمم ولا يناله حدس الفطن» ^(٣)، فربَّما يمكن استشفاف أن قوله عليه السلام: بُعْد الهمم، له علاقة بسلوك العارف، ومن ثمَّ فيه إشارة إلى البعد العملي، حيث يسعى الإنسان إلى أن ينكشف له الحقُّ وتحصل له معرفته بكنه ذاته، من خلال الإشراف القلبي وعن طريق التزكية الباطنية، فيأتي هذا النص للإمام ليوصد الباب في هذا الاتجاه، وفي مقابل ذلك، يشير قوله عليه السلام: (حدس الفطن) إلى الحدس العقلي ليكون المعنى أنَّ طريق اكتناه الذات مغلق أمام الإنسان، سواء سلك لمعرفته طريق الكشف والإشراق وتزكية الباطن أم طريق العقل والقوة الإدراكية.

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٤٩، ص ٨٨.

(٢) سورة آل عمران: آية ٢٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٩٤، ص ١٣٨.

لكن مرّ معنا أكثر من مرّة أنّ الإمام أمير المؤمنين يُسجّل في خطبته: أول الدين معرفته^(١)، فكيف نُوفّق بين هذا وبين ما نحن فيه من إستحالة المعرفة.

لا يعني الإمام عليّ عليه السلام في كلامه، أنّ المعرفة الإنسانية تتعلّق بذات الحق (سبحانه) فمعرفة الذات لا مجال لها، ولا يمكن لأحد أن يعلم ما هي (يا من لا يعلم من هو إلّا هو) وإذ لا يتمكن الإنسان من معرفة الذات فلا يمكن أن يضع اسماً للذات، لأنّ وضع الاسم فرعٌ يتأسّس على معرفة المسمّى، وما لم يستطع الإنسان أن يقف على حقيقة المسمّى فأنّى له أن يضع له اسماً!!^(٢) (انتهى كلامه).

- فهذا - كما سترى - التعارض فيما بنى وفيما هو المبني، فبما أنّه قد قرّر أنّ معرفته محال حتى في صُقع عالم الأزل والسرمد، ثمّ يأتي في ص ١١٤ فيقول: عندما يجري الحديث عن أسماء الله الحسنى والاسم الأعظم فليس المقصود من ذلك الألفاظ، ومن ثمّ فإنّ الأسماء الحسنى لا تعني الألفاظ الجميلة، بل المراد من ذلك الحقيقة والعين دون اللفظ والصورة الذهنية، لذلك قسّم العلماء الاسم: إلى اسم لفظي واسم عيني، وعندما يدعو الإنسان بقوله (اللهم إني أسألك بإسمك) فلا يقصد بذلك لفظ الاسم، بل هو يسأل بالواقع الخارجي

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١، ص ٣٩.

(٢) التوحيد بحوث في مراتبه ومُعطياته: الجزء الأول/ ١٠١-١٠٣.

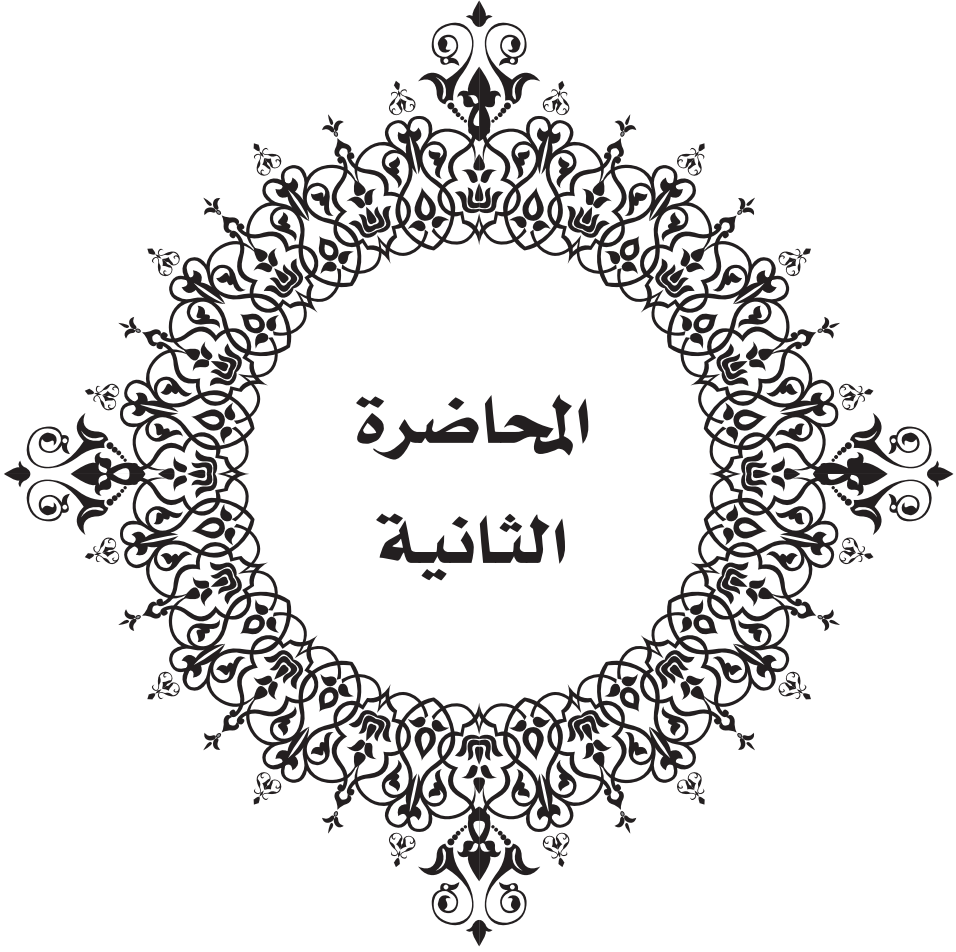
الكائن وراءه، بمعنى أنَّ السؤال يتمُّ بواقع الجمال وبواقع الكرم وبواقع القدرة التي تتسم به الذات الإلهية، وليس بألفاظ الجمال والكرم والقدرة، والذي يُحقِّق الإجابة ليس الألفاظ من جهة أنَّها أصوات بل الحقيقة الكائنة وراءها. (انتهى كلامه)

- لكن هنا وقفة دقيقة، وذلك بما أنَّ السؤال يتمُّ بواقع الجمال وواقع الجلال وواقع القدرة، فأنت لا تسأله إلا بما تتَّصف به الذات الإلهية، وأنتم قد قرَّرتُم أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يضع اسماً للذات فكيف يكون الجمال عينه؟! والقدرة عينه؟ فهل نعرف الذات لنصفها بالجمال والجلال؟ والحال أنها حقيقة خارجية، وقد أشار إليها صاحب الميزان في ج ٨ في تفسير سورة الأعراف ص ٣٦٥ في شرح النص الشريف الذي أورده الكليني أعلى الله مقامه في الكافي الشريف: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْمًا بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مَتَصَوِّتٍ، وَبِالْأَلْفِظِ غَيْرِ مَنْطِقٍ، وَبِالشَّخْصِ غَيْرِ مَجَسَّدٍ، وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ أَرْكَانٌ وَحُجُبٌ (الرواية)، فَإِنَّ الْأَسْمَاءَ الْمَكْنُونَةَ الْمَخْزُونَةَ لَمَّا كَانَ اسْمًا، فَهُوَ تَعَيَّنَ وَظَهَرَ مِنَ الذَّاتِ الْمُتَعَالِيَةِ، وَإِذَا كَانَ مَكْنُونًا بِحَسَبِ ذَاتِهِ غَيْرَ ظَاهِرٍ بِحَسَبِ نَفْسِهِ، فَظَهُورُهُ عَيْنَ عَدَمِ ظَهُورِهِ، وَتَعَيُّنُهُ عَيْنَ عَدَمِ تَعَيُّنِهِ... ثُمَّ يَقُولُ: وَهُوَ مَا يُعْبَّرُ عَنْهُ أحياناً بِقَوْلِنَا، إِنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِمَحْدُودٍ بَحْدٍ حَتَّى بِهَذَا الْحَدِّ الْعَدَمِيِّ، لَا يَحِيطُ بِهِ وَصْفٌ، وَلَا نَعْتَ حَتَّى هَذَا الْوَصْفِ السَّلْبِيِّ، وَهَذَا بَعِينُهُ تَوْصِيفٌ مِّنَّا وَالذَّاتُ الْمُتَعَالِيَةُ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَكْبَرُ (أي من الاسم المكنون).

- أي إلى درجة حتى عند قولنا لا يحيط به وصف ولا نعت فهو منزّه عن هذه الجملة، لأنّها في واقع الأمر إخبار، والإخبار إحاطة المُخبر عمّا يُخبر عنه، فدقّق وتبصّر.

- ثمّ يقول السيّد الطباطبائي: وأمّا الله تبارك وتعالى، ثلاثة أسماء معاً سدنة وحجّاباً للاسم المكنون من غير أن يتقدّم بعضها بعضاً، وهذه الحُجّاب الثلاثة والاسم المكنون المحجوب بها جميعاً دون الذات، وأمّا هي (أي الذات) فلا ينتهي إليها إشارة، ولا يقع عليها عبارة إذ كلّ ما تحكيه عبارة أو توميء إليه إشارة اسم من الأسماء محدود بهذا النحو، والذات المتعالية أعلى منه وأجلّ (انتهى كلام صاحب الميزان).

- والسيد المقرّر له كتابه في التوحيد لم يتعرّض للروايات التي تُفرّق بين الاسم والمسمّى ممّا جعله يقع في ذلك. ونُكمل إن شاء الله في المحاضرة الأخرى ما يكشف لك الحقيقة.



المحاضرة الثانية

■ تتضمَّنُ المطالبُ التالية:

- رأي مشهور الفلاسفة في عدد الصفات الذاتية.
- مناقشةُ السيّد الطباطبائي المشهور في صفتي الكلام والإرادة.
- التحليل العقلي عند السيّد الطباطبائي لصفتي السمع والبصر الذاتيتين.
- الردّ على مُدعى السيّد الحيدري من إتفاق كلمة العلماء على عينية الصفات.
- المكاتبات بين العَلَمين السيّد الكربلائي والشيخ الكمپاني ونتائجها.
- ردّ قاطع على تناقضات ما ذكره السيّد من عينيّة الصفات للذات.
- تراجم هامّة في حواشي المتون لكلّ من القاضي القمي، والشيخ الكمپاني، والسيّد الكربلائي، والشيخ العطّار النيشابوري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما زال الكلام في مواقع النظر في الجزء الأول من كتاب التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، يقول السيد في ص ١٢٤ تحت عنوان **عدد الصفات الذاتية**: دأب المختصون على ذكر سبع صفات في عداد الصفات الذاتية هي: الحي، العالم، القادر، السميع، البصير، المريد، المتكلم، بيد أن لبعض المحققين نقاشاً في أن يكون الكلام والإرادة من صفات الذات.

عند هذا المفترق نشب نزاع بين الفلاسفة والمتكلمين حيث يذهب المتكلمون إلى أنهما من صفات الفعل، يرجح مذهبهم ما تصرّح به الآيات والروايات من أن الإرادة من صفات الفعل.

دفع هذا الأمر عدداً من الفلاسفة، لالتزام بأن الإرادة من صفات الفعل. إلى هذا انتهى السيد محمد حسين الطباطبائي حين خالف المشهور ممّا ذهب إليه الفلاسفة في اعتبار الإرادة والكلام من الصفات الذاتية لينتهي في آخر المطاف إلى أنهما من صفات الفعل، أمّا بشأن الخمس المتبقية فهو يعتقد أن السمع والبصر يرجعان بحسب التحليل العقلي إلى العلم، فمعنى السمع هو العلم بالمسموعات، ومعنى البصر هو العلم بالمبصرات، وقد أفردا كصفتين مستقلتين عن العلم لورودهما في الكتاب والسنة ليس إلا، وذلك بعكس الكلام الذي لم يرد منه في الكتاب الكريم إلا ما كان صفة للفعل^(١).

(١) نهاية الحكمة: ص ٣٠٧-٣٠٨.

على هذا تبقى ثلاث صفات هي الحي، والعليم، والقدير، وهذه مما تتفق عليها كلمة العلماء بأنها من صفات الذات، دون وجود اختلاف يذكر بينهم.

ويُرد على ما أفاده بالقول: «وهذه مما تتفق عليها كلمة العلماء بأنها من صفات الذات».. بأنه كلامٌ غير دقيق، باعتبار أن السيد القاضي القمي^(١) وهو صاحب التصانيف والتأليف المشهورة، وممن له قصب السبق في مختلف العلوم والفنون، يكفي على سبيل الإشارة إليها- شرح توحيد الصدوق الذي وقع في ثلاثة مجلدات مطبوعة مضافاً إلى شرح الأربعين النفيس، فكيف ساغ التعبير (العلماء) المفيد للعموم، وقد استفاد الحديث في كتبه على ردّ نظرية عينية الصفات للذات وغيرها، والذي عبّر عنه الإمام الخميني قُدس سرّه في تعليقه على الفوائد الرضوية بقوله «فإنّ ممّا وفّقني التأييدات الربوبية، وأيدني التوفيقات القدسية الألوهية، هو الاستعداد بزيارة هذا الحديث القدسي النازل عن سماء الوحي والتقديس، وشرحه الذي أفاده شيخ العرفاء الكاملين، قدوة أصحاب القلوب والسالكين، كاشف إشارات الأخبار ورموزها، مُخرج لباب الآثار وكنوزها، فخر الطائفة وعينها، وذخر أهل المعرفة وزينها، المؤيد بتأييدات الرب

(١) هو المولى، الفاضل، الحكيم، العارف المُتشرّف، الأديب الكامل، المحقّق الصّمداني، مُحمّد بن مُحمّد مُفيد، وكما يقول عن نفسه: المدعو بسعيد الشّريف القميّ، ويصف نفسه بالحكيم والقاضي ويتبيّن من تعريفه نفسه، أنّ اسمه مُحمّد، واسم أبيه، الذي لم يعتن بذكره أغلب

أصحاب التّراجم، هو مُحَمَّد مُفيد، أو مُفيد وأنّه مدعو، أو مُلقّب، أو مُشتهر بـ«سعيد» وكأنّ السّعيد صار جزءاً من اسمه، كما يظهر من تعريفه نفسه، بقوله: مُحَمَّد سعيد الحكيم، في مُقدّمة أسرار الصّنايع، وبعض معاصريه سَمّاه أيضاً هكذا وأنّه مدعو بـ«الشّريف» و«الحكيم» و«القاضي».

ويظهر من مقارنة شتّى كلماته في مختلف آثاره أنّه ولد في العاشر من ذي القعدة سنة ١٠٤٩هـ وتاريخ وفاته مجهول، فبعض أصحاب التراجم لم يتعرّض له مثل صاحب هداية الأحياء، وبعضهم مثل صاحب طرائق الحقائق، قال: «إنّه توفّي بقم المُشرّفة قريباً من سنة ١١٠٠هـ» وقال صاحب روضات الجنّات: «إنّي لم أتحقّق إلى الآن من تاريخ وفاته، وكأنّه من أوائل المئة الثّانية، أم أواخر المئة الأولى بعد الألف» وقال صاحب ريحانة الأدب: «أنّه توفّي سنة ١١٠٣هـ» وزعم السيّد مُحَمَّد مشكوة في مُقدّمته على كليلد بهشت: «إنّه كان حيّاً في ١٤ جمادي الثّانية سنة ١١٠٣هـ».

وأقول على ما في خاتمة المجلد الثّالث من شرح التّوحيد: «إنّه كان حيّاً في الثّامن عشر من شهر رمضان المبارك لسنة ١١٠٧هـ».

وعلى ما جاء في كتاب التّراجم: «ولد بقم المُقدّسة، وبعد تحصيل المُقدّمات، وبعد ما قرأ على أبيه الطّب في صغر سنّه، هاجر إلى أصفهان، وكان مُتردداً بين أصفهان وقم المُشرّفة طوال عُمره الشّريف، في هجرته الأولى لأصفهان، دخل في زُمرة أطباء الشّاه عبّاس الصّفوي الثّاني، كما كان أخوه الحكيم، ميرزا مُحَمَّد حُسين، وكانا مُعظّمين عند السّلطان، وفي نفس الوقت، تتلمذ على المولى رجب عليّ التّبريزي، وبعد عدّة سنوات، تصدّى لمنصب القضاء من قبل السّلطان، وبعد جُلوس السّلطان، سُليمان الصّفوي سنة ١٠٧٧هـ، غضب عليه الشّاه، وأمر بحبسّه في قلعة الموت، ولكن سلامة نفسه، كانت سبباً لعفوه، فأقام بقم المُشرّفة، مُشتغلاً بالعبادة والتّدريس والتّصنيف حتّى سنة ١٠٨٩هـ وذهب إلى أصفهان في تلك السّنة، وأقام بها حتّى سنة ١١٠٢هـ ثم رجع إلى قم - وإن لم نعلم تاريخ رجوعه - مُتصدياً لمنصب القضاء وشيخ الإسلاميّة بقم، من قبل الشّاه سُليمان الصّفوي، وكان حيّاً في سنة ١١٠٧هـ». ولم أعر على خبر عنه بعد هذا العام، ولم أتحقّق من تاريخ وفاته، وهو مدفون بقم المُقدّسة، فرحمة الله عليه، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

مكانته العلميّة وسيرته العمليّة: كان القاضي سعيد من الجانب العلمي طبيباً أديباً وشاعراً بالفارسيّة فقيهاً حكيماً عارفاً مُتضلّعا في الأخبار والأحاديث، خاصّة المشكلة منها، بالشرح والتّأويل، تتلمذ في الطّب على أبيه بقم، وأقبل عليه في صغر السنّ، وأيام الشّباب، وكأنّه تركه بعد حين.

وتتلمذ في الحكمة، على المولى رجب عليّ التّبريزي، المتوفّي سنة ١٠٨٠هـ بأصفهان، وهو من العلّماء المُقربين والمُعظّمين عند الشّاه الصّفوي، يزوره الشّاه وخواصّه وأمراه حيناً بعد حين،

وتتملذ في العلوم الدينية والحقيقة، على المولى محمد محسن الفيض الكاشاني سنة ١٠٩١هـ وأقبل على شرح الأحاديث وتأويلها، حينما بلغ عمره ثلاثين سنة وقام بها طوال عمره الشريف وترك لنا في هذا الباب ثراثاً ضخماً، ويظهر من آثاره، من نقله، واستناده على أقوال كثير من العلماء ونقدها، سعة اطلاعه، وقوة فهمه، ومرتبة علمه، واستقلال رأيه أما في الجانب العملي، فهو سالك متشرع، وله ميل للتصوف والعرفان كان مؤيداً بروح القدس، ومشمولاً بتأييدات غيبية وكما يقول هو عن نفسه، كان مفاضاً وملهماً عند الله، في فهم الأسرار المكنونة، والدقائق الكشفية المخزونة، في الآيات والأحاديث وكان مقيداً بتبعية أهل البيت عليهم السلام ومُصرحاً بها في العلم والعمل فهو رحمه الله، مُتوغل في التوحيد، وحُب أهل البيت عليهم السلام والاعتباس من مشكاتهم، والسير على سنتهم وسلوكهم، وتأويل وتشريح مُعضلات كلامهم، وما قالوا فيه من ميله المفرط إلى التصوف، فيه تأمل، فإنه رحمه الله، متمسك بحبل النبي والوصي عليهم السلام والمُلتجئ إلي عتبة باب العلم، ولم يتمسك بالآراء والأهواء، ويرى شرافته إلى النبي والآل عليهم السلام.

ومما يهمني ذكره، أنه وإن كان معظماً عند سلاطين زمانه، وتصدى لمنصب القضاء الشرعي من قبلهم، ولكن لا نرى في كلماته ما يمدحهم به، كما لم نعثر على أثر أهداه إلى أرباب السلطة، وكأنه أغمض عينيه عن جميع مزخرفات الدنيا، ومظاهر السلطة، وأرباب القدرة.

أساتذته: كما أشرنا سابقاً، يُصرح بأساتذه في الحكمة الإلهية، المولى رجب علي التبريزي، وأستأذه في العلوم الدينية والحقيقة، المولى محمد محسن الكاشاني، في غير موطن من آثاره، وما قال بعضهم، أنه قرأ على المولى عبدالرزاق اللاهيجي (الفياض) فليس بصحيح.

تلامذته: يظهر من آثاره، أنه قرأ عليه أفاضل، كانوا من تلامذته، وإن لم يُصرح بهم أصحاب التراجم، منهم: محمد ويحتمل أن يكون هو الذي يذكره صاحب الذريعة، بقوله: «محمد بن حسين علي، المظنون أنه حفيد المولى عبدالله التستري، المتوفى سنة ١٠١٢هـ ومنهم، من اسمه مهدي واحتمل ضعيفاً، أنه هو الذي له تعليقات على المجلد الأول، من شرح التوحيد، يعترض فيها عليه ومنهم، المولى محمد كريم.

مُصنّفاته: له مُصنّفات كثيرة، أكثرها في شرح الأحاديث المُشكلة، كما أنّها باللغة العربية، إلا كتاب (كليد بهشت، وأسرار الصنائع) فإنهما باللغة الفارسية، انسقت وانسجمت آثاره من الآيات، والأحاديث، وآراء الحكماء والمتكلمين، وكلمات المُفسرين والمُحدّثين، ومواجيد وأذواق العُرفاء والمُحقّقين، وأهل السلوك، والأشعار الفارسية والعربية، وله عناية خاصّة بالتأويل، وكثيراً ما يُصرح بما أخّصه الله به من الفهم.

ولا يُمكن ذكر ترتيب تاريخي على مُصنّفاته، فإنّه في الأربعين يذكر شرح التوحيد والبوارق، وبعض آثاره بوجه كلي، وفي شرح التوحيد، يُرجع القارئ إلى الأربعين، وكذا في أكثر مُصنّفاته، وكأنّه كان يشرع بتصنيف كتاب، قبل أن ينتهي من آخر، ولنشره بذكرها:

- ١- أسرار الصّنائع في فلسفة بعض العلوم.
 - ٢- كليلد بهشت في الحكمة.
 - ٣- الأربعين في شرح الأحاديث.
 - ٤- شرح توحيد الصدوق.
 - ٥- الأربعينات لكشف أنوار القدسيات. وهي مجموعة من عشر أو إحدى عشرة رسالة، صنّفها منفردة، ثمّ نقلها في هذه المجموعة، وكان في نيّته، أن يجمع فيها أربعين رسالة، ولم يف به عمر الشريف هي:
 - ١- رسالة حقيقة الصلّة، أو مقالة التوحيد.
 - ٢- رسالة إشارة وبشارة، في حقيقة اختلاف الواقع في القراءات السبع، مخطوط.
 - ٣- رسالة الفوائد الرضويّة في شرح حديث سؤال رأس الجالوت من الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام): «ما الكفر والإيمان؟» وجوابه (عليه السلام) مخطوط.
 - ٤- رسالة مرقاة الأسرار، في بيان ربط الحادث بالقديم، وحُدوث العالم، مخطوط.
 - ٥- رسالة النّفحات الإلهيّة والخواطر الإلهاميّة، وهي مُسجّعة المباني، مخطوط.
 - ٦- رسالة الأنوار القدسيّة، في تحقيق الهيولي والصّورة والنّفس، مخطوط.
 - ٧- رسالة المقصد الأسنى، في تحقيق ماهيّة الحركة ووجودها، مخطوط.
 - ٨- رسالة الحديقة الوردية، في السّوانح المعراجيّة، مخطوط.
 - ٩- رسالة البُرهان القاطع، والنّور السّاطع، وهي ترجمة أستاذ المولى رجب عليّ التبريزي، من اللّغة الفارسيّة، إلى العربيّة، مخطوط.
 - ١٠- رسالة الطّلائع والبوارق، في تحقيق أنّ لكلّ حقيقة من الحقائق الإمكانية صورة، وأنّ أحسنها الصّورة الإنسانيّة، مخطوط.
 - ١١- رسالة شرح حديث الغمامة، من إعجاز أمير المؤمنين (عليه السلام) مخطوط.
 - ٦- أسرار العبادات، مطبوع.
 - ٧- تعليقات على أثلوجيا، وهي تفصيل لرسالة حقيقة الصّلاة، مخطوط.
 - ٨- روح الصّلاة. وهي تفصيل لرسالة حقيقة الصّلاة، مخطوط.
 - ٩- هامشية على شرح الإشارات، غير موجود.
 - ١٠- شرح حديث البساط، مخطوط.
- تنويه: تلزم الإشارة إلى أنّنا نقلنا ترجمة القاضي سعيد القمي رحمه الله من المقدّمة التي كتبها الأستاذ القدير الدكتور نجفقلي حبيبي دام مجده في تصحيحه وتعليقه على شرح توحيد الصدوق رحمه الله.

المجيد القاضي الشريف السعيد أفاض الله عليه من أنوار رحمته
الواسعة، وتجلّى عليه بالأنوار الباهرة»^(١).

وممن قدح بنظرية عينية الصفات للذات فيما نُقل من المكاتبات^(٢)،
العارف الكبير والفقيه الخبير آية الله السيد أحمد الكربلائي تلميذ
شيخ العرفاء العلامة حسينقلي الهمداني، وأستاذ العارف الشهير آية
الله الحاج الميرزا علي القاضي، وآية الله السيد جمال الدين الكلّيايكاني
قدّس الله أسرارهم وأعلامهم، هذه المكاتبات التي تمتّ بينه وبين
العالم الفقيه والحكيم النّبيه آية الله العظمى الشيخ محمد حسين
الأصفهاني المعروف بالكُمباني قدّس سرّه^(٣). على أثر سؤال طرحه
الفاضل الشّرخ إسماعيل التبريزي رَحِمَهُ اللهُ في بيان سرّ بيتين وردا

(١) التعليقية على الفوائد الرضوية: مقدّمة الإمام الخميني، ص ١.

(٢) توحيد علمي وعيني، جمعه ورتبه وذيل عليه آية الله العلامة السيد محمد حسين الحسيني
الطهراني رحمه الله.

(٣) ترجمة: العالم الفقيه والحكيم النّبيه الشيخ محمد حسين الغروي الأصفهاني المعروف
بالكُمباني قدّس سرّه.

اسمه ونسبه:

الشيخ محمد حسين بن محمد حسن بن علي أكبر الغروي الإصفهاني المعروف بالكُمباني.

ولادته:

وُلد في الثاني من المحرم ١٢٩٦ هـ بمدينة الكاظمية المقدّسة.

حبّه لأهل البيت (عليهم السلام):

قال السيّد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي: «كان لدى الشيخ الإصفهاني شوق وافر وحبّ
مفرط بأهل البيت (عليهم السلام)، وكلّما تحين الفرص المناسبة تراه يذهب إلى زيارة

الأئمة (عليهم السلام)، وحين فراغه من الزيارة يصلي صلاة جعفر الطيار بدل ركعتي صلاة الزيارة، ويهدي ثوبها للأرواح المطهرة للأئمة (عليهم السلام)، وقد حافظ على هذه السنة طيلة حياته، وكان لديه حب خاص للإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، ويهتم اهتماماً كبيراً بزيارته».

من صفاته وأخلاقه:

كان (قدس سره) رجلاً بمعنى الكلمة، جمع بين العلم والعمل، وبين الذوق والتقوى، وكان صاحب طبع حميدة وكلام جميل، ومن صفاته الأخرى: الوقار والسكينة، وحسن المعاشرة، والتواضع مع الجميع حتى الأطفال، وكان طلابه يحبونه حباً كثيراً، لسببين:

١. ما كان يتمتع به من مقامه الشامخ، وتبحره العميق في العلوم، وذوقه الرفيع، وعزّة نفسه.
٢. إنه كان أباً رؤوفاً ورحيماً لطلابه.

من أقوال العلماء فيه:

١. قال الشيخ محمد رضا المظفر: «كان من زمرة النوابغ القلائل الذين لا يضنّ الزمان بهم إلا في الفترات المتقطعة، ومن أولئك المجددين للمذهب، الذين يبعث الله تعالى واحداً منهم في كل قرن، ومن تلك الشخصيات اللامعة في تاريخ قرون علمي الفقه والأصول».
٢. قال الشيخ آقا بزرك الطهراني (تغمده الله برحمته): «ولما توفي شيخنا الخراساني برز بشكل خاص، فحفّ به جمع من الطلاب، واستقل بالتدريس في الفقه والأصول، وكان جامعاً متفناً شارك. بالإضافة إلى ما ذكر. في الكلام والتفسير والحكمة والتأريخ والعرفان والأدب إلى ما هنالك من العلوم، وكان متضلعا فيها.
- وله في الأدب العربي أشواط بعيدة، وكان له القدر المعلن في النظم والنثر، امتاز ببراعة وسلاسة ودقة وانسجام، وأكثر نظمه أراجيز، بالجملة فهو من نوابغ الدهر الذين امتازوا بالعبقريّة وبالملكات والمؤهلات، وغرقوا في المواهب.
- كان محترم الجانب، موقراً من قبل علماء عصره، مرموقاً في الجامعة النجفية، اشتغل بالتدريس في الفقه والأصول والعلوم العقلية زمناً طويلاً، كانت له قدم راسخة في الفقه وباع طويل في الأصول، وآثار في ذلك تدل على أنظاره العميقة وآرائه الناضجة».
٣. قال السيّد محمد حسين الطباطبائي: «إنّ الشيخ الإصفهاني كان عالماً جامعاً للعمل والتقوى والذوق، وكان يمتلك طبعاً رصيناً وكلاماً جميلاً».

من أساتذته:

الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند، الشهيد الشيخ محمد باقر الاصطهباناتي،

الشيخ جواد آقا الملكي التبريزي، الشيخ حسن التويسركاني، السيّد محمّد الفشاركي، الشيخ رضا الهمداني.

من تلامذته:

السيّد محمّد هادي الحسيني الميلاني، السيّد أبو القاسم الخوئي، الشيخ محمّد تقي بهجة القومني، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، الشيخ محمّد علي الأراكي، السيّد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الشيخ أبو الفضل النجفي الخونساري، الشهيد السيّد مرتضى الموسوي الخلخالي، السيّد محمود الموسوي الزنجاني، الشيخ علي محمّد البروجردي، السيّد محمّد الحسيني الهمداني، الشيخ محمد علي الأردبادي، السيّد صدر الدين الجزائري، الشيخ محمّد حسن القوجاني، الشيخ محمّد رضا المظفر، الشيخ محمّد حسين المظفر، السيّد هادي الخسرو شاهي، الشيخ عبد الحسين الأميني، الشيخ عبد المهدي مطر، الشيخ عباس القوجاني.

من مؤلفاته:

نهاية الدراية في شرح الكفاية، الأنوار القدسية، رسالة في إطلاق اللفظ وإرادة نوعه وصفه وشخصه، رسالة في أقسام الوضع والبحث عن المعنى الحرفي، رسالة في أخذ الأجرة على الواجبات، رسالة في علائم الحقيقة والمجاز، رسالة في تحقيق الحق والحكم، رسالة في الاجتهاد والتقليد، رسالة في الحقيقة الشرعية، رسالة في الصحيح والأعم، رسالة في الطلب والإرادة، رسالة في اشتراك الألفاظ، رسالة في الشرط المتأخر، رسالة في صلاة الجماعة، رسالة في موضوع العلم، رسالة في صلاة المسافر، رسالة في إطلاق الأمر، كتاب في أصول الفقه، رسالتان في المشتق، رسالة في الحروف.

وفاته:

توفي (قدّس سرّه) في الخامس من ذي الحجة ١٣٦١هـ في النجف الأشرف، ودُفن بجوار مرقد الإمام علي (عليه السلام). (أنظر نهاية الدراية ٩/١. بقلم: محمد أمين نجف).

في منظومة الشيخ العارف والفرد الفريد الشيخ العطار النيسابوري^(١)

(١) ترجمة الشاعر الكبير والعارف الشهير العطار النيسابوري: هو فريد الدين محمد بن إبراهيم النيسابوري ولد في نيسابور في أواخر عصر السلجوقية ومضت مدة طفولته في مشهد المقدسة. سافر إلى ما وراء النهر والهند والعراق والشام ومصر وحج بيت الله الحرام، وثم رجع إلى مسقط رأسه نيسابور وأقام فيها إلى نهاية عمره. كان العطار مشغولاً بالطب وكانت لديه مستشفى لمعالجة المرضى، وإضافة لذلك كان دائماً مشغولاً بالقراءة والتأليف وكان يتحدث في كتبه عن أحوال العرفاء. كان أستاذاً في الشعر، ويقال بأن مؤلفاته بعدد سور القرآن الكريم أي مائة وأربع عشرة مؤلفاً وأشهرها هو كتاب منطق الطير، الذي طبع مكرراً في إيران والهند وطبع باللغة الفرنسية ثلاثين مرة باهتمام المستشرق جارسن دي.

يقول المحدث القمي في كتابيه الكنى والألقاب وهديّة الأحاب: إن أغلب مصنفاته في الشعر وتكلم عن التوحيد والمعارف والحقايق. العطار يمدح أمير المؤمنين في أبياته باللغة الفارسية:

ز مشرق تا به مغرب كر إمام است علي وآل او ما را تمام است
كرفته اين جهان وصف سنايش كذشته زان جهان وصف سه نانش
چه در سر عطا إخلاص او راست سه نان را هفده آيه خاص او راست
چنان در شهر دانش باب آمد كه جنت را به حق بواب آمد
چنان مطلق شد اندر فقر وفاقه كه زر و نقره بودش سه طلاقه
اكر علمش شدي بحر مصور در او يك قطره بودي بحر أخضر
چه هيچش طاقت منت نبودي ز همت كشت مزدور يهودي
كسي گفتش چرا كردي؟ بر آشفنت زبان بكشاد چون شمع وچنين گفت:
لِنَقْلِ الصَّخَرِ مِنْ قُلُلِ الْجِبَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَنَنِ الرِّجَالِ
يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الْكَسْبِ عَارٌ فَإِنَّ الْعَارَ فِي ذَلِ السُّؤَالِ

يقول المؤرخ الشهير ابن فوطي (متوفى سنة ٧٢٣هـ) في كتابه تلخيص معجم الألقاب شارحاً أحوال العطار:

كان من محاسن الزمان قولاً وفعلاً ومعرفةً وأصلاً وعملًا، رآه مولانا نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي بنيسابور، وقال: كان شيخاً مفضلاً حسن الاستنباط والمعرفة لكلام المشايخ والعارفين، والأئمة السالكين. وله ديوان كبير، وله (منطق الطير) من نظمه المشوي. واستشهد على يد التتار بنيسابور.

إضافة لذلك فقد أشاه ومجده القاضي نور الله التستري في كتاب مجالس المؤمنين وشرح أحواله بشكل مفصل.

كما سبق وأن قلنا للعطار مؤلفات عديدة منها الهي نامه، مظهر العجائب ومنطق الطير. أما بالنسبة لتشييعه وتبعيته لمدرسة أهل البيت فهذا مما لا ينبغي الشك فيه، حيث ذكره آية الله السيد محسن العاملي في كتابه أعيان الشيعة وصرح بمذهبه السيد القاضي نور الله التستري. توفي العطار سنة ٦٢٧ من الهجرة النبوية بعد ما عمّر ١١٤ سنة ودُفن خارج مدينة نيسابور.

رحمه الله، طرحه على الشيخ الآخوند الخراساني قدس سره، وقد أوردت كل ما يخصّ بالبيتين وترجمتهما وما يتعلق بتراجم هؤلاء الأعظم في حاشية هذه المتون، فانظر إن شئت. ثم عرض الشيخ التبريزي جواب الآخوند على العلمين، ومن ثمّ تبدء رحلة المكاتبه والتي ستري أنّها تقوم على أساس مبنين، أحدهما فلسفي حكمي، والآخر عرفاني وجداني، يتبنّى المنهج الأول الشيخ الكمباني بينما يتبنّى المنهج الثاني السيد الكربلائي^(١)، وفي غمار هذه الأمواج المتلاطمة، سنقتصر على ما يهمّ المقام من نفي العينية، كما ستلاحظ موقف السيد الكربلائي وهو من أعمدة حوزة النجف الأشرف، كيف يردّ على القائل بها والمتبنّي لها.

(١) ترجمة العالم الكبير والعارف النحرير الحاج السيّد أحمد الكربلائي قدس الله نفسه:

اسمه ونسبه:

هو المرحوم آية الله الحاج السيّد أحمد الطهراني الكربلائي ابن السيد إبراهيم الموسوي الطهراني.

من أساتذته:

الحاج الميرزا محمد حسن المجدّد الشيرازي والعلامة الميرزا حبيب الله الرشتي، والعلامة الميرزا حسين الخليلي الطهراني، والعلامة المولى حسينقلي الهمداني.

من تلامذته:

المرحوم آية الله الحاج الميرزا علي القاضي، والمرحوم آية الله السيد جمال الدين الكلّياكاني.

من صفاته وأخلاقه:

برز السيد أحمد في الفقه والأخلاق والعرفان، كان هو قدس سره عابداً زاهداً ذا ورع وتقوى وكثرة بكاء. خدم والدته إلى نهاية حياته وتوفّي قبلها. تجنّب التصديّ للمرجعية في عصره مع أنّه كان مؤهلاً لها. بلغ الدرجات العالية في الفقه والأخلاق والتهديب، حيث كان من أعظم فقهاء الشيعة ومن أساطين الحكمة والعرفان، ففي الحكمة والعرفان يكفي في بيان منزلته، إنّهُ هو والشيخ محمد البهاري برزا من بين تلاميذ آية الله العظمى الآخوند المولى حسينقلي الهمداني رضوان الله عليه، في النجف الأشرف.

من أقوال العلماء فيه:

يقول العلامة الحاج الشيخ آغا بزرك الطهراني رَحِمَهُ اللهُ في أعلام الشيعة: عالم جليل وفقه كبير وأخلاقي معروف، فريد دهره وأوحد عصره في المعرفة بالله والخشية منه.

وفاته:

تُوفِّيَ (قَدَّسَ سِرُّهُ) وهو يصلي صلاة العصر في يوم الجمعة المصادف لـ ٢٧ شوال ١٣٣٢ هـ في النجف الأشرف، ودُفِنَ بجوار مرقد الإمام علي عليه السلام.

- كيفية نشأة المكاتبات بين العلمين آية الله الحاج السيد أحمد الكربلائي، وآية الله الحاج الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني، بقلم سماحة آية الله الحاج السيد محمد حسين الطهراني (بتلخيص وتصرف جزئي منا) من ص ١١-٥٠ في كتابه الذي أسماه «توحيد علمي وعيني».

نُقلَ عن أحد طلاب النجف الأشرف - كما في هذا الكتاب المشار إليه (*) (●) توحيد علمي وعيني در مكاتيب حكيم وعرفاني: للسيد محمد حسين الحسيني الطهراني - والذي كان لديه ذوق والمسمى بالشيخ اسماعيل التبريزي، يكتب رسالة للشيخ فخر المحققين وشيخ الفقهاء والمجتهدين الآخوند الخراساني، ويذكر فيها بيتين من كتاب منطق الطير للعطار النيسابوري ويسأله عن معنى البيت الثاني والبيتان هما:

دائمًا أوبادشاه مطلق است
او به سر نايد زخود آنجا كه اوست

دائمًا هو الملك المطلق
هو لا ينتهي في نفسه «هناك هو موجود»

ومعنى البيتين هو:

مستغرق في كمال عزّه

دائمًا هو الملك المطلق

هو لا ينتهي في نفسه «هناك هو موجود» متى يصل عقل الوجود إلى ما «هناك هو موجود» أمّا الآخوند الخراساني فيجيبه جواباً لا يتجاوز ثلاثة أسطر مدعياً، إنّ المقام لا يستوعب الإطالة، فيجيب قَدَّسَ سِرُّهُ بما يلي:

جواب الآخوند الخراساني لسؤال الشيخ اسماعيل التبريزي:

بناءً على أنه سبحانه وتعالى قائم بذاته لا يمكن أن يحجب حجب، وعليه، القوة العاقلة والخيالية للإنسان لا تصل إلى المرتبة التي هو فيها ولا تدركها، لأن في تلك المرتبة لا يوجد شيء غير ذاته المقدسة. كان الله ولم يكن معه شيء، وهو الآن كما كان، ولا يشغل به مكان. (محمد كاظم الخراساني).

ماذا فعل الشيخ اسماعيل بجواب الآخوند:

أمّا الشيخ اسماعيل فلا يكتفي بهذا المقدار، بل يطرح نفس السؤال مكتوباً على العلمين الأصفهاني والكربلائي، لكنّ اللطيف أنّ جواب الشيخ الأصفهاني يتعارض مع جواب السيد أحمد الكربلائي، حيث أن الشيخ الأصفهاني يجيب عن السؤال بناءً على مباني الحكماء

في بحث التوحيد القائلة بأن الصفات الثبوتية عين ذات الحق سبحانه وتعالى، وفي قبالة السيد أحمد يجيب عن السؤال بما يناسب مسلك التوحيد العرفاني الذي يرى بأن الذات المقدسة فوق كل اسم ورسم، وعلى هذا الأساس فالبيت المعني به السؤال يطرح هذه الفكرة بأن الأشياء ليس لها سبيل لمقام الذات، والعقل لا قدرة له لإدراك ذلك المقام، لأنه قبل وصوله لذلك المقام المنيع يفنى ويضمحل.

وعلى أي حال عندما يرى الشيخ اسماعيل التعارض بين الجوابين، يأتي بجواب السيد للشيخ، والشيخ بعد مطالعته للجواب يكتب مكتوباً في رده، فيأخذ الشيخ إسماعيل رد الشيخ ويعطيه للسيد، والسيد بعد مطالعته ينقضه ويكتب رداً مفصلاً ومستدلاً عليه، يتطرق فيه لمطالب عديدة، وي طرح فيه توحيد الخواص، الذي هو كمال توحيده نفي الصفات عنه، بل السيد يفتح الباب لبيان اختلاف مذهب العرفاء والحكماء في كثير من الموارد. وهكذا يتسع البحث والنقاش بين الآيتين، حيث يُطلع الشيخ على ما كتبه السيد ويكتب عليه رداً ثالثاً، وأيضاً يأتي الشيخ اسماعيل ويعطيه للسيد الكربلائي، والسيد يكتب شيئاً في نقضه وهكذا هلمَّ جرّاً فإنه تكتب أربعة عشر رسالة في هذا المجال، سبعة منها للشيخ والسبعة الأخرى للسيد.

والذي يلفت النظر، هو أن الشيخ الأصفهاني يتمسك بالبرهان لإثبات مدّعاء، أمّا السيد الكربلائي فهو يتمسك إضافة للبرهان بالذوق والشهود والوجدان. لكن الذي يجب أن نبينه أنه كلا العلمين لم يُقَصِّرَا في أداء حق المطلب.

وها هي جهود ومَساعي الشيخ إسماعيل، حيث أنه احتفظ بهذه المكاتبات بل احتفظ ببعض رسائل آية الله العظمى سند الحق والعرفان الآخوند ملا حسينقلي الهمداني، وإضافة لذلك اهتم الشيخ إسماعيل بجمع رسائل من العارف البارع الشيخ محمد البهاري، الذي كان زميلاً للسيد أحمد الكربلائي في درس الآخوند الهمداني.

ومما ينبغي الذكر بأن السيد الأستاذ العلامة الطباطبائي كان يخصص يوم الخميس والجمعة لتدريس هذه المكاتبات، وكان رحمة الله عليه ما خطر بباله المبارك ملاحظة على المكاتبات إلا وقد كتبها، وبعد ذلك جمعها في مجموعة وأسمائها بتذييلات ومحاكمات.

لكن مع الأسف الشديد المشغلة الكثيرة، والاجل المحتوم لم يدع لسيدنا الأستاذ إلا التذييل على ست رسائل، ثلاثة تذييلات على مكاتيب الشيخ، وثلاثة منها على مكاتيب السيد، فسألني بعض أصدقائي أن أتابع البحث، واستمر بالتذييلات فبحمد الله أكملتها وألحقت بها مقدمة وتعليقة ووضعتا بين يدي العموم.

تنويه: هذه الترجمة نقلناها عن المرحوم آية الله السيد محمد حسين الحسيني الطهراني في الكتاب الذي جمع فيه المكاتبات والذي أسماه «توحيد علمي وعيني».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكاتبة الأولى

للشيخ الأصفهاني الكمباني قدس سره

أجاب رحمه الله تعالى بالقول: إنَّ الذات الواجبة من حيث ذاته هي صرف الحقيقة الوجودية، ومنزَّهة عن الحدود الوجودية والعدمية والماهويَّة. وكلُّ ما كان من صفة كمالية والتي ترجع إلى عين الحقيقة الوجودية، فإنَّه يُطلق عليها صفةٌ ثبوتيةٌ.

وهي عين ذات الواجب مثل العلم والحياة والقدرة وغيرها، وما كان من صفةٍ مرَّجعتها إلى نفي الحدود الوجودية أو الماهوية أو العدمية فإنَّه يُطلق عليها الصِّفات السلبية، وهي من لوازم الحقيقة المحضة والوجود الصرف، مثل نفي صفة «لا وجود» ونفي الجوهرية والجسمية وغيرها.

ثمَّ يقول رحمه الله: إذن المنشأ في عدم وصول العقل لذلك المقام المنيع للواجب تعالى، هو عدم محدوديته بالحدود، ولأنَّ هذه المقدِّمة صارت معلومة فنقول:

إنَّ الصِّفات السلبية هي الصِّفات الجلالية للواجب، وصفات الجلال حجاب الجمال الأقدس له تعالى، وهي أجلُّ من أن تحيط بها العقول والأوهام.

ثم يَختَمُ مكاتبتَه بالقول: وهذا المعنى المراد من قول الشيخ العطار، لأنَّه قد بيَّن في أنَّ الواجب تعالى مُستغرق في كمال عزِّه، أي غرضه أنه استغرق في صفات العزِّ والجلال، والتي ترجع إلى صرافة الوجود ومحض الحقيقة، لذا قد بيَّن في الشعر الثاني أنَّه تعالى إذا كان مُستغرقاً في عزِّه وجلاله ولم يخرج منه، إذن كيف يمكن للعقل أن يصل إلى مقامه الشامخ، لأنَّ وصول العقل لا يكون إلا بالإحاطة بالواجب بنحو الإحاطة الوجودية، والمفروض أنَّه تعالى واجب، والواجب غير محدود فلا يكون محاطاً.

جمالُك في كلِّ الحقائق سائرٌ وليس له إلا جلالُك سائرٌ

انتهى ما سجَّله الشيخ الكمباني رحمه الله المتعال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكاتب الأولى

للمرحوم السيّد أحمد الكربلائي قدس سرّه

إنّ الغرض من الشعر، هو إقامة البرهان على عدم بلوغ العقل ذلك المقام الشامخ له جلّ وعلا بالطريق اللّمي، بمعنى الاستدلال عن طريق العلة على المعلول.

ولأنّ المقرّر في محلّه: إنّ الوجود العلمي للأشياء هو بالإضافة الإشراقية العلمية للحقّ جلّ وعلا. ومن المعلوم أيضاً: عدم العلة علة على عدم المعلول. وحاصل معنى الشعر: هو أنّه جلّ وعلا في مقام عزّه الشامخ لا يرى إلا نفسه ولا يدرك غيرها. ولم يخرج عنها، وهذا هو علة عدم الأشياء في ذلك المقام المنيع.

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام:

وَاسْتَعْلَى مُلْكُكَ عُلُوًّا، سَقَطَتْ الْأَشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أَمَدِهِ، وَلَا يَبْلُغُ أَدْنَى مَا اسْتَأْثَرَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَقْصَى نَعْتِ النَّاعَتَيْنِ. ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ! وَتَفَسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتُ، وَحَارَتْ فِي كِبْرِيائِكَ لَطَائِفُ الْأَوْهَامِ. فَلَا يَدْرِكُهُ وَلَا يَرَاهُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ.

إذن، كيف للعقل فضلاً عن غيره أن يستطيع الوصول إلى ذلك

المقام المنيع، والحال أنَّ فنائها واضمحلالها سيكون قبل وصولها إلى ذلك المقام حتماً مقضياً.

ثمَّ يقول: إذا كنتَ أنتَ القابضُ للروح، فأَيُّ شخص لا يُسلم الروح ونحن أيضاً معك نريد معرفتك، ونريد أيضاً أن نراك، ولكن لا يرى أنتَ إلا أنتَ، ولا يَعرف مَنْ أنتَ إلا أنتَ، بك عرفتكَ وأنتَ دَلَلتني عليك ودعوتني إليك، ولولا أنتَ لم أدرِ ما أنتَ.

انتهى ما سجَّله السيّد الكربلائي رحمه الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكاتبة الثانية

للمرحوم الشيخ الكمباني قدس سره

قبل البدء بعرض جوابه نشير إلى أن مرحلة النقاش الشديد بدأت بالتحديد -هنا في هذه المكاتبة وما بعدها- من ردّ الشيخ الأصفهاني على بيان السيد الكربلائي في المكاتبة الأولى.

■ بيان الشيخ في مكاتبته الثانية:

أقول: العلم الذاتي للواجب -الذي هو عند أهل الحق- هو عين ذاته، ومقدّم على وجود الأشياء في الخارج، وعن مباني وجودها خارجاً. ولا يُعقل أن تكون إضافة إشراقية للحقّ جلّ وعلا. بل هي إضافة إشراقية علمية للواجب، العلم واجب في مقام الفعل، الذي هو بيان فعل وفيض الحقّ تعالى.

وكيف هي فعله؟ ووجودات الأشياء هي عين الارتباط بذاته، حيث لا حضور أقوى من هذا الرابط الذاتي، ويُطلق عليه العلم في مقام الفعل، ولأنّ فيض الحق تعالى له شبه بالإضافة المقولية، من جهة قيامه بالمبدأ الأعلى، وتذوّت الذوات بنفسه، يُطلق عليه بالإضافة الإشراقية.

ثانياً: استغراق الذات في عزّته وجلاله، لا يقتضي ألا يرى إلا نفسه

ولا يُدرك غيرها. بل هذا المعنى بالدقة يستلزم نفي العلم الواجب في مقام ذاته بالأشياء. بل يرى ذاته ومن طريق رؤية ذاته حيث إنه بسيط الحقيقة وكل بسيط الحقيقة جامع لجميع الكمالات، يرى مصنوعاته، ولذا قيل: مبدأ الكل ينال الكل من ذاته. وليس للواجب تعالى مقام الفناء مثل مقام السالك، حتى يتصور أنه في مرحلة الاستغراق والفناء في الله لا يرى إلا الحق.

وأما مسألة «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» فإنها لا تكون شاهداً للمدعى، بل المراد هو نفي الصفات الزائدة، كما يدل عليه ما بعده، حيث قال عليه السلام: «لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف».

أو المراد مقام المشاهدة للسالك، الذي هو أقصى مراتب شهود الذات بذاته على وجه التجرد عن مشاهدة صفاته. بهذا المعنى حيث تكون المشاهدة تارة في شهود صفاته، وتارة أخرى حيث تكون المشاهدة في شهود ذاته. والثاني أقوى - أي تكون المشاهدة في شهود ذاته - وعلى أي حال لا دلالة على أن الذات تعالى في مقام الذات لا يرى إلا نفسه. وهكذا هو حديث عالم لا معلوم. لأنه المعلوم بالذات هي نفس الذات المقدس، وغيره يعلم به كما عرفت.

وثالثاً: الكلام - في الواقع - في وصول العقل بعد وجوده في الخارج إلى الواجب تعالى، إذن لا يصير أن علة عدم وصول الموجود في الخارج هي عدم علم الحق تعالى في مرتبة ذاته إلا بذاته. انتهى كلامه رُفِع مقامه.

ولنا أن نقول فيما أفاده الشيخ الاصفهاني رحمه الله من تفسيره لقول الإمام سر التوحيد وجوهره صلوات الله عليه، في «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»، في ثاني البيانين والذي قواه وهو (أن تكون المشاهدة في شهود ذاته) إنه أغرب ما طرّق عالم الإمكان، ودكّ مسامع الآذان وهزّ المشاعر والوجدان، وقلّب القراطيس والميزان «والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» وذلك لأن المتسالم عليه فيما بين الحكماء وعلماء العرفان، أن الذات يستحيل معرفتها ومعرفة كنه حقيقتها، وفي النصوص الصريحة ما جاء «لا تفكروا في ذات الله» وجاء أيضاً عن سر الحكمة عليهم السلام «ومن رام وراء ذلك فقد هلك» وكذلك قولهم أرواحنا فداهم «ولا في المسألة عنه جواب». وفي دعاء الصباح على لسان أمير المؤمنين عليه السلام «يا من دلّ على ذاته بذاته وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته». وعلى هذا فمن الشاهد ومن المشهود؟ وليس في مورد ذاته إلا ذاته، فإذا كان الكلام محظوراً والتفكير ممنوعاً، لعدم المناسبة بين ذاته التي ليس في موردها إلا ذاته وبين مخلوقاته، فكيف ساغ القول وجاز الكلام في المشاهدة بعد نفي صفاته وضمحلها في طريق السالك، فإذا كانت هذه الفلسفة وهذه مبانيها فلا نقول إلا لا حول ولا قوة إلا بالله، إلهي لا تكلمي إلى نفسي طرفة عين أبداً والحمد لله أولاً وآخراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكاتبة الثالثة

للمرحوم السيد الكربلائي رحمة الله عليه

في هذا المقام، أود الإشارة إلى أننا ننقل جواب السيد الكربلائي في مكاتبه الثالثة، باعتبار كونها محلّ الشاهد وموطن الدلالة على ما نحن فيه، ولئلا يطول بنا الكلام في المكاتبات، ونؤكل تفصيل كل ما ورد منها في محلّ آخر، وفي ما سجّله السيد الكربلائي هنا محلّ النظر لأهميته، ولذا سنقتصر على أهم المطالب مختصرين قدر الإمكان، ونحيل القارئ البصير والباحث الخبير إلى الرجوع إلى متن المكاتبات ففيها ما يفيد، وإن كان للتأمل والنظر والمناقشة فيها مجال واسع. فقد جاء في جوابه ردّاً على ما سجّله الشيخ الاصفهاني:

أولاً: ينقل كلاماً لبعض المتألهين، ويقول: والعلم عند الله سبحانه وتعالى: إعلم أنّ طريقة ذوق المتألهين هي هكذا: إنهم يرون أنّ الوحدة هي الحقيقة، وأنّ الكثرة هي اعتبارية. ويرون كذلك أنّ جميع العوالم غير المتناهية، وحقائق جميع الأشياء من البدء إلى الختم، حتّى الأسماء والصفات بما هي أسماء وصفات هي أمور اعتبارية ولحاظية. وحضرة الحقّ جلّ وعلا هو فاعل الاعتبار واللاحظ أو وسائط فيضه بالاعتبار، والتي ترجع في الحقيقة إليه جلّ وعلا، ويُعبّر عنها بتجليّاته وظهوراته سبحانه.

باعتبار قيامها به، سبحانه الذي هو القيوم والمصدر لجميع الأشياء.

والتعبير بالاضافة الإشراقية باعتبارها في نفسها، وكذلك بالوجودات الخاصة للأشياء باعتبار اضافتها إلى الأشياء. والملاحظ والمنشأ للصدور والتعينات، أسماؤه وصفاته وشؤوناته التي هي محدودة بهذا اللحاظ، والتي يُعبّر عنها «بالأشياء» وذلك باعتبار تعلق اللحاظ والمشية بها.

فبمطالعة لصفاته وأسمائه تكون الأشياء -روحي الفداء لطلعته ومطالعة-، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(١)، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَتَمُّ وَءَابَاؤُكُمْ﴾^(٢). «ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل»، فالحقُّ حقُّ والخلقُ خلقٌ، هذا هو كيفية خلق الأشياء، ولكن الخالق هو الله، فافهم إن كنت من أهله.

ثانياً: ومن هذا تعرف: أن معنى الخلق هو التقدير، إذ قد عرفت أن تحدّد الأشياء ومقاديرها بنفس لحاظه واعتباره ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣)، وهذا معنى: «خلق الله المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة».

(١) سورة الحج: آية ٦٢.

(٢) سورة النجم: آية ٢٣.

(٣) سورة المؤمنون: آية ١٤.

ومن هنا يُعلم: أنَّ حدوث العالم برُمَّته وشرائره من البدو إلى الختم، حدوثٌ مسبوقٌ بالعدم الغير الجامع للوجود لا بمجرد السَّبق الذاتي.

ويقول رحمه الله: باختصار لكن إذا لم يُلاحظ الوجود معه أيُّ لحاظ -حتّى الاطلاق فضلاً عن التقييد، بل حتّى بلحاظ لا بشرط عن الاطلاق والتقييد، فإنَّ اللحاظ والاعتبار بأيِّ وجه كان حتّى لحاظ اللابشرطية من الإطلاق والتقييد، فضلاً عن الإطلاق، فضلاً عن التقييد، ولو بالأسماء والصفات بما هي أسماء وصفات - أمر زائد على الوجود وخروج عن الصرافة والمحوضة إلى التقييد، ولو بالاعتبار الذي قد عرفت أنَّه ملاك لما سواه. ويُعبّر عن تلك المرتبة بـ(مقام الذات وغيب الغيوب)، نعم بملاحظة لكلِّ واحد من الأسماء والصفات جمعاً وفرداً، وبتلك الملاحظة سوف يكون الوجود الخاصّ للاسم والصفة، وإذا يُلحظ نفسه بشرط أن لا يكون معه شيء، نفس اللحاظ سيكون وجود الاسم (أحد). والذي يُعبّر عنه بـ«مقام الأحديّة».

وإذا يُلحظ نفسه بشرط جميع الأسماء، فذلك اللحاظ سيكون وجود الاسم «الواحد» والذي يُعبّر عنه بـ«مقام الواحدية»، وإذا كان لحاظه لا بشرط، فهذا اللحاظ سيكون وجود «الاسم الأعظم الإلهي». والذي يُعبّر عنه بـ«المقام المحمدي ﷺ والذي هو الجامع ما بين مقام الأحدية والواحدية، وغاية سير الإنسان الكامل الذي يُعبّر عنه بـ«مقام ختم النبوة». والذي لا يكون لأحدٍ ما بعد ذلك عن مقام الذات خبرٌ، وهكذا لجميع الأسماء والصفات.

وإذا تُلحظ هذه المعاني باعتبار قيامها بالذات الأقدس، فإنه يُعبّر عنها «بالأسماء» مثل «الأحد» و«الواحد» و«العالم» و«القادر» وإذا تُلحظ وحدها فإنه يُعبّر عنها بالصفات مثل «الاحدية» و«الواحدية» و«القدرة» و«العلم».

وبهذا اللحاظ وُجدت العوالم غير المتناهية لصفاته وأسمائه وشئونه الغير المتناهية، وباللحاظ هذا يُعبّر عنه بـ «عالم الأسماء والصفات». ويقول والحقّ يقول^(١): ومن هنا يعلم أنّه لا مصداق مطابق لتلك المفاهيم المحدودة، إلّا بهذه اللحاظات والاعتبارات المحدودة. والذات غير المحدودة لا يمكن أن تكون مصداقاً ومطابقاً وما به إزاء وحذاء المفاهيم المحدودة، تعالى شأنه عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢﴾.

سواء كان الكلام في حمل الهووية الذي هو في الذاتيات. وبهذا الحمل لا يمكن حَمْلُ الْعِلْمِ على الذات الأقدس ولا حَمْلُ الْعَالَمِ عليها. ويقول السيد الكربلائي قدس سرّه القدوسي: نعم إذا ما أُلغيت الحدود الأسمائية والصفاتية، إذن فلا يبقى ثاب غير الذات. وحينئذٍ يمكن حمل هوهو، فالذات ذات. وعليه فلا يمكن إطلاق اسم العلم والقدرة على ذلك اللامحدود أي «الذات»^(٣).

(١) توحيد علمي وعيني ص ٧٤.

(٢) سورة الصافات: آية ١٥٩.

(٣) توحيد علمي وعيني، نفس الصفحة.

ويؤكد القول رحمه الله: بأن ما ورد من أنه «شيء لا كالأشياء» و«علم لا كالعلوم» وغيرها، هو متعارف في مقام إفهام العجزة والجهلة. وهذا هو المراد من عبارة، علم كلّه، قدرة كلّه، يعني أن الذات هي أصل أصل العلم، وموجد العلم لا كسائر العلوم، كيف؟ وبه صار العلم علماً وصارت القدرة قدرة.

إلى أن يقول: ومن هنا يعلم أن مناط كمال الذات الواجب هو نفس الذات بذاته بلا جهة ولا كيف. إذن المراد هو أنه إن كان في غيره تُطلق هذه الأسماء، فهو بنفس ذاته من دون اسمه. سبحانه الله! إذا كان اشتمال شيء على ما دونه بنحو ما دون، التي تعني بحدوده، فإنه سوف لا يكون بسيطاً وهذا أسوء التراكيب، بل سيكون أسوء التركيبات من الحدود العدمية.

وأسوء من هميان «مُلاً قطب». ولهذا أُطلقت الأسماء على الأنبياء والأئمة عليهم السلام، حيث ورد في أخبار وأدعية كثيرة والتي هي من هذا الباب مثل «وَبِطَلْعَتِكَ فِي سَاعِيرَ وَظُهُورِكَ فِي جَبَلِ فَارَانَ»، كما في دعاء السمات، والذي يُراد به الوجود المقدس للأنبياء. وكذلك ما ورد «السَّلام على اسم الله الرضّي» الذي ورد في الزيارات، بل وفي بعض الأدعية قد ورد «وَبِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَهُ مِنْ نَفْسِكَ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْكَ أَبَداً». وكذلك في الأدعية الكثيرة الواردة، منها: «وَبِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الشَّمْسَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الْقَمَرَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ اللَّيْلَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ النَّهَارَ» وهكذا^(١).

(١) نفس المصدر: ص ٧٦ - ٧٧.

ثمَّ يعلّق السيّد الكربلائي على ما دوّنه الشَّيخ الكمباني في المكاتبه الثالثه، مُستغرياً منه فيما ذكره ومناقشاً له فيما رَقمه هناك، فقال:

قوله أي قول الشَّيخ رحمه الله: اعلم أنَّ صرف حقيقة الوجود، إذا يُلحظ بنفسه بشرط أن لا يلاحظ معه شيء حتى ما اندمج فيه من حقائق الصفات، أو ما كان لازماً لذاته من عناوين الأسماء والصفات والأعيان الثابتة، هذه المرتبة يُطلق عليها مرتبة أحدية الذات، وغيب الغيوب، والهويّة المطلقة، وجمع الجمع، وحقيقة الحقائق إلى غير ذلك من الألقاب.

يردّ عليه السيّد: أولاً هذه المرتبة تُلحظ لا بشرط حتى من اللاشرطية. وثانياً: سبحانه الله، أليس «الأحد» و«الواحد» من الأسماء.

وقوله رحمه الله: وأحياناً يُلحظ صرف حقيقة الوجود بما هو جامع لحقائق الصفات بنحو الجمع والاندماج، فهو مرتبة أحدية الجمع، لأنّ المفروض ملاحظة الذات على ما هي عليه من استجماعه لحقائق الصفات بنحو الجمع والوحدة. من دون تميّز صفة عن صفة، وهذه المرتبة بالذات لا تختلف مع المرتبة السابقة، بل اعتبارات مختلفة، وإلاَّ فإنّ الذات الأقدس بذاته مصداق جميع النعوت الكمالية ومطابق جميع الصفات الجمالية والجلالية بنحو قال الأكابر: وجودُ كَلِّه ووجوب كَلِّه وعلمُ كَلِّه قدرة كَلِّه^(١).

(١) نفس المصدر: ص ٦٥.

ويردّ السيّد الكربلائي على مقالته بالقول: أولاً: ما ذكره من مرتبة «أحادية الجمع» هي مرتبة الواحدية، ومرتبة أحديّة الجمع هي الملحوظ بشرط اللابشرطية وهو مقام الحقيقة المحمدية كما عرفت^(١). وإن شئت راجع ما أورده عليه.

أقول: وإن تعجب فعجب قولهم «وما عشت أراك الدهر عجباً» ما بيّنه بصريح العبارة، لا مجاز ولا استعارة، من قول الشيخ الكمباني طاب ثراه: وأما المرتبة الثالثة^(٢) التي هي مرتبة امتياز الأسماء والصفات بعضها عن بعض، والتي يُطلق عليها بـ«الفيض الأقدس» والتي هي من لوازم الذات الأقدس، ويُقال عنها بالمرتبة الواحدية التي هي قبال الكثرة، وتكون انتشاء الكثرة بملاحظة هذا المقام. إذن هذه المرتبة هي من لوازم المرتبة السابقة. وتكون الملازمة بينهما نظير التلازم بين الوجود والماهية لا بنحو التلازم بين وجود ووجود آخر. ثم يقول: فلذا الحقيقة في مرحلة الذات هي بنفس الذات، ويكون العنوان في مرحلة متأخرة عن الذات ولازماً للذات، وهكذا الحال في الأعيان الثابتة سواء رأينا أنّها من لوازم الذات، أو رأينا أنّها من لوازم الأسماء والصفات.

على أيّ حال فهي لا تكون موجودة في هذه المرتبة بالوجود الاستقلالي، بل تبعاً لوجود حقائقها المنذكة في حقيقة الذات الواجبة

(١) نفس المصدر: ص ٨١.

(٢) انظر المصدر نفسه: ص ٦٦ - ٦٧.

لإندكاك كلَّ ضعيفٍ في القوي، وإحاطة كلَّ شيءٍ شديد في ذاته بالضعيف من نسخه. وينتهي في هذا المقام بالقول:

إذن ظهر ممَّا ذكرنا أمور:

منها: الحقيقة هي أنَّ العلم الكمال هو ذلك العلم الذاتي، ومقام الجمع وجمع الجمع، تفاوتهما يكون بالاعتبار لا بالذات، انتهى كلامه رُفِع مقامه.

ويردُّ عليه السيد الكربلائي بقوله: ولكن إطلاق العلم عليه هو على سبيل التوسُّع والتجريد، لأنَّه لا اسم ولا رسم لمرتبة الذات والَّا لزم الخُلف، فلا تَغُفل.

قال الشيخ رحمه الله: ومنها، هو أنَّ حقائق الصفات ليست محدودة بل هي عين حقيقة الواجب، وصرافتها بنحو صرافة وجود الواجب، قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المباركة: ليس لصفته حدٌّ محدود، وما قاله في آخر كلامه: «وكمالُ الإخلاصِ له نَفْيُ الصِّفَاتِ عنه» نفي يكون بنحو الامتياز والمباينة، ذلك لأنَّه يقول عليه السلام بعد هذه الفقرة: «لشهادة كلِّ صفةٍ أنَّها غير الموصوف وشهادة كلِّ موصوف أنَّه غير الصفة».

وفي مقام الردِّ عليه يقول السيد الكربلائي رحمه الله: سبحان الله! إنَّ حضرة الإمام عليه السلام يستدلُّ على أنَّ الصفتية تقتضي الامتياز، فإن كانت -كما تقول- العينية فليست بصفة، حتى ولو فرض أنَّ

مفهوم العلم لا يكون محدوداً، وتكون هناك حقيقتان، لا حقيقة واحدة «لشهادة كل صفةٍ أنَّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنَّه غير الصفة».

ويقول الشيخ قدس سره: بعد سرده خطبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهذا هو أول التوحيد، لا كمال التوحيد والاخلاص... الخ.

فيجيبه السيد قدس سره بالقول: وهذا المعنى الدقيق - أي وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه وما يتعلق بهذه الفقرات الشريفة - لا يفهمه غالب الموحدين.

وأخيراً وليس آخراً يصرح الشيخ الكمباني بالقول:

هناك حيث يكون مقام الأسماء والصفات متأخراً عن مقام الجمع، ضرورة تأخر كل فرق عن الجمع، بل إنَّ مقام الاستجماع لحقائق الصفات متأخر عن مقام غيب الذات، ومتقدّم على مرحلة الأسماء والصفات بما هي أسماءٌ وصفات، بل مقام جمع الأسماء والصفات والذي هو مرتبة «الله» أيضاً مقدّم على مرتبة الأسماء والصفات بما هي متميّزة ومتفرّقة، ولذا كان أمّ الأسماء.

ويجيبه السيد الكربلائي ببيان، رداً على ما أفاد فيقول: بلى هكذا ولكن قد علمت المرتبتين السابقتين المذكورتين، هي أيضاً كانت مقام جمع الأسماء والصفات لا مقام الذات، وإلاَّ فإنَّ مقام «الواحد» ومقام «الأحد» ألم يكونا من الأسماء والصفات، بل إن تلك المرتبتين متأخرتان عن مرتبة لحاظ لا بشرط، الذي هو مقام جمع الجمع للأسماء

والصفات. وقد علمت أنَّ جميع العوالم هي مقام الجمع والتفصيل، وذلك العالم الجمعي هو متأخر عن عالم الأسماء والصفات، والمعبر عنه بـ«عالم جمع العقول والنفوس» الذي هو آخر مرتبة عالم الخلق في قوس الصعود، وأول مرتبة كان في قوس النزول. ولهذه الجهة وبهذا المعنى اعتبرتها متأخرة، حيث يقول الشيخ العطار النيشابوري: «متى يصل عقل الوجود «هو هناك موجود». إذن هو استدلّ بفناء المرتبة السابقة على فناء المرتبة اللاحقة استدلالاً بانتفاء العلة على انتفاء المعلول. انتهى الكلام فيما أفاده العَلَمَان، وقد تبين لك -إن كنتَ متأملاً- ما وقع فيه الشَّيخ الكمياني قدس سرّه من الخلط بين المقامات الأسمية وبين الذات المقدسة عن كل اسم ورسم فدقق، فإنه من مزالق الأقدام لكثير من الأعلام فضلاً عن سائر الأنام.

والى هنا نخط الرحال ونهي الكلام فيما يُقال، لننتقل إلى ما يقتضيه الواقع والحال، ببيان أمرين هامّين:

الأمر الأول: قد تبين لك عدم صحّة القول فيما ادّعاه السيد الحيدري حفظه الله من اتفاق العلماء على أنَّ الصفات عين الذات، وذلك بما تقدّم من مخالفة السيّد المغمور وصاحب القلب المغمور القاضي سعيد القمي، والسيّد الفقيه والعلم النبيه ذي الملكات العالية والمراتب السامية السيد أحمد الكربلائي أعلا الله مقامهما ورفع في الخلد أعلامهما.

الأمر الثاني: وهو بمثابة عصارة القول وزبدة المخاض، بأن نقول

قولاً حاسماً ورأياً مستفاداً من معاريض كلمات آل محمد عليهم السلام جازماً، وهو إما أن تكون الصفات التي يدعي المشهور من الفلاسفة وغيرهم أنها عين الذات، إما أن تكون ممتازة عن الذات، وإما ألا تكون ممتازة عنها. وكما ترى أيُّها الناقد البصير، فإن الأمر مردد بينهما بنحو الحصر العقلي الذي لا ثالث لما افترضنا، فإن قلت: إن الصفات لا تمتاز ولا تباين الذات، قلنا إذن لم عبّرت عنها بـ(الصفات) وهي كما هو واضح جمع الصفة، المشعرة بالتعدد ولو مفهوماً، مضافاً إلى أنّ الذات بما هي هي ليست قابلة للفرض والتصور إطلاقاً، لأنّ الذات حقيقةً هي الصفات والصفات عينها، فمن أين أتيت بهذا التعبير (الصفات) المشعر بالتمايز ولو مفهوماً، ألا ينبغي أن نتعبد بما ورد من ناحية سرّ الحقائق ومعدن الرسالات وخزان العلم وأركان التوحيد والمثل الأعلى، في قولهم «لم أحده ولكنّي أثبته» وقول سرّ التوحيد وجوهره أمير المؤمنين عليه السلام في قوله «ووجوده إثباته».

وإن قلت، بأنّ الصفات تمتاز عن الذات، فهذا هو أسوء أنواع التراكيب والتجزئة، بل أسوء من هميان ملاّ قطب كما يقول السيّد الكربلائي، ويُردّ بالكلمات العلوية والعبارات العلوية فاستمع لما يُتلى عليك من سرّ الجواهر وجوهر الأسرار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يقبل التقييد ولا التأويل، وهو على إطلاقه ينسف مطلق هذه الأقوال الواردة على السنة الحكماء وغيرهم من الواصفين والناعتين، سواء منهم من كان قائلاً بالعينية، أو من كان قائلاً بالزيادة، وسواء من تخيل أو تخرّص الجسمانية، أو من تخيل أو توهم بالمفهومية.

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِّيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِّيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مُوصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ، كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

وبعدما عَرَضْنَاهُ مِنْ مَكَاتِبَاتٍ وَبَيَّنَّاهُ مِنْ آرَاءٍ، نَعُودُ إِلَى مَا كَتَبَهُ
السَّيِّدُ الْحِيدَرِيُّ:

ثُمَّ يُكْمَلُ فِي ص ١٢٥ : عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَ (الْحَيَاةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْعِلْمَ) تَرْجِعُ عِنْدَ التَّحْلِيلِ إِلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ الْحَيَاةُ، فَالْحَيَاةُ هِيَ مَنْشَأُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ تَجْمَعُ فِي تَكْوِينِهَا كُلِّ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ. فَإِذَا مَا صَارَ الْمَوْجُودُ حَيًّا فَسَيَكُونُ عَالِمًا وَقَادِرًا جَزْمًا، وَإِذَا مَا صَارَ عَالِمًا فَهُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَإِذَا صَارَ قَادِرًا فَهُوَ مَرِيدٌ وَمَتَكَلِّمٌ (انْتَهَى كَلَامُهُ) ^(١).

(١) التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته: ج ١، ص ١٢٥.

يقع الكلام في هذه الكلمة (بحسب التحليل العقلي) فإنه إن كانت صفات ذاتية أي عين الذات، وعلى هذا فإنه يُنقض عليكم بالقول، أليس قد قلتم باستحالة معرفة كنه الذات، وأنتم قرّرتُم أن الصفات عين الذات، فإذا كان المستحيل حاكماً في كنه الذات، فإنه لا محالة حاكمٌ ونافذٌ في مورد الصفات، فكيف نُرجع هذه الصفات من خمس إلى ثلاث ومن ثمّ إلى صفةٍ واحدة بما أسمىتموه التحليل العقلي؟ فبأيّ دليل نقليّ استتدتم وعلى أيّ دليل عقليّ اعتمدتم؟ وكيف ساغ للعقل أن يُحلّل؟ أم متى خضعت الذات وصفاتها للمختبرات والتحليلات العقلية؟ وكيف نجعل الخوض في المستحيل ساحةً للتحليلات العقلية، وهذا مخالف لقول أمير المؤمنين عليه السلام: يا من دلّ على ذاته بذاته، ولم يقل بصفاته أو أسمائه أو مخلوقاته؟ لأنّ الدلالة على الذات لا يمكن أن تكون في مورد التعقّل أو التفكير، وهذا ليس تعطيلاً للذات كما تتخيّلون، إنّما هو إثبات عمّا تصفون، فالمعطل ينفي ونحن ننزه وهذا هو المذهب الحقّ، فروايات الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم مستفيضة في عدم جواز التفكير في الذات، فكيف إذا وصلت النوبة إلى الكلام الذي يأتي بمرحلة ثانية بعد التفكير؟ وإليك ما يشفي العليل ويروّي الغليل من ما ورد عن آل محمد عليهم صلوات الربّ الجليل.

كما أوردها الشيخ الثبّت الثقة الكلينيّ طاب ثراه في الكافي الشريف، فتمعن كلمات الحقّ النافية كلّ أشكال التفكير والتوهّم والكلام عن الذات، والله الموفق للصواب بمنّه ولطفه.

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ

١ - مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِثَابٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِدَادُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحِيْرًا.

وفي رواية أخرى عن حريز: تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ.

٢ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنْ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ» فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسَكُوا.

٣ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ النَّاسَ لَا يَزَالُ بِهِمُ الْمُنْطَقُ حَتَّى يَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ ذَلِكَ فَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

٤ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ حَمْرَانَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا زِيَادُ إِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتُ فَإِنَّهَا تَوْرَثُ الشُّكَّ وَتَهْبِطُ الْعَمَلَ، وَتُرَدِّي صَاحِبَهَا، وَعَسَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالشَّيْءِ فَلَا يُغْفَرُ

له، إنه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وُكِّلوا به، وطلبوا علم ما كفوهُ حتَّى انتهى كلامهم إلى الله فتحَيَّروا، حتَّى أن كان الرجل لِيُدَّعي من بين يديه فيجيب مَنْ خلفه، ويُدَّعي من خلفه فيجيب مَنْ بين يديه. وفي رواية أخرى: حتَّى تاهوا في الأرض.

٥ - عِدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن الحسين بن الميَّاح، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مَنْ نَظَرَ في الله كيف هو؟ هلك.

٦ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ مَلَكاً عَظِيمَ الشَّأْنِ، كان في مجلس له فتناول الربَّ تبارك وتعالى فَفَقِدَ فما يُدري أين هو.

٧ - عِدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عبد الحميد، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ في الله، ولكن إذا أردتم أن تتظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه.

٨ - محمد بن أبي عبد الله رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن آدم لو أكل قلبك طائرٌ لم يشبعه، وبصرك لو وضع عليه خرق أبرة لغطاه، تُريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض، إن كنت صادقاً فهذه الشمس خَلَقَ مِنْ خَلْقِ الله، فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول.

٩ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن علي، عن اليعقوبي، عن بعض أصحابنا، عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال إنَّ يهودياً يقال له: سُبَّحْتَ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! جئتُ أسألك عن ربِّك، فإن أنت أجبتني عما أسألك عنه وإلا رجعت، قال: سل عما شئت، قال: أين ربُّك؟ قال: هو في كلِّ مكان وليس في شيء من المكان المحدود: قال: وكيف هو؟ قال: وكيف أصف ربِّي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه، قال: فمن أين يُعلم أنَّك نبيُّ الله؟ قال: فما بقي حوله حجرٌ ولا غير ذلك إلاَّ تكلم بلسان عربي مبين، يا سُبَّحْتَ إنه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال سُبَّحْتَ: ما رأيت كالיום أمراً أبين من هذا، ثم قال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّك رسول الله.

١٠ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن يحيى الخثعمي، عن عبد الرحمن بن عتيك القصير، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن شيء من الصفة، فرفع يده إلى السماء ثم قال: تعالى الجبار، تعالى الجبار، مَنْ تعاطى ما ثمَّ هلك. فتدبَّر وتفهم وصلى الله على محمد وآل محمد وسلّم.

- ويقول في ص ١٢٩: فالتعطيل في صفة العلم يتمثل في نفي معناه تماماً، بحيث إذا ما سُئِلَ الإنسان عنه أجاب: لا أدري (انتهى).

- وَمَنْ دَرَى عَنْ ذَاتِهِ يَا سَيِّدَنَا حَتَّى يَقُولَ دَرَيْتُ وَعِلِمْتُ وَعَرَفْتُ؟ فالكلُّ عاجزٌ أمامَ أوَّلِ موجٍ من هذا البحر الزَّخار في مقام القمقام من

الأسماء والصفات، ونحن هنا لا كلام ولا أوهام إلا: لَمْ أَحَدَهُ وَلَكِنِّي أَثْبَتُهُ، وهو قولهم عليهم السلام، فالتوحيد الخالص: أَنْ لَا نَتَوَهَّمَهُ أَيْ لَا نَتَفَكَّرُ فِيهِ وَلَا نَتَكَلَّمُ وَلَا نَصِفُ، وَلَا نَقُولُ إِنَّ صِفَاتِهِ عَيْنُ ذَاتِهِ، عَبَرٌ مَا يُسَمَّى بِالتَّحْلِيلِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي لَا مَجَالَ لَهُ فِي مَقَامِ الصِّفَاتِ، فَضْلاً عَنِ التَّخَبُّطِ فِي تَحْدِيدِ عَدَدِ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

- ويقول في ص ١٤٥ تحت عنوان الدليل العقلي: يتبنّى هذا الدليل بكلّياته إلى ما مرّت الإشارة إليه في بحث التوحيد الأحدي، أَنَّ الذات الإلهية بسيطة وهي متوفّرة على كلّ كمالٍ وجمالٍ (انتهى كلامه).

- فما المقصود بكلّ كمالٍ وجمالٍ؟ فهذه الكلية تعني كلّ ما صدق عليه كمال وجمال، فبأيّ دليلٍ نسبتم كلّ الكمال والجمال إلى الذات الإلهية؟ ولمَ لم تُرجع ذلك كلّهُ إلى مقام أسمائه الحسنَى وصفاته العليا؟

- وفي ص ١٤٦ في الدليل النقلي، فيقول: عن هشام بن سالم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أَتَنَعْتُ رَبِّكَ؟ فقلت: نعم، قال: هات، فقلت: هو السميع البصير، قال: هذه صفةٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا المخلوقون، قلت: فكيف تَنَعُّتُهُ؟ فقال: هو نورٌ لا ظلمةٌ فيه، وحياةٌ لا موتٌ فيه، وعلمٌ لا جهلٌ فيه، وحقٌّ لا باطلٌ فيه، فخرجت من عنده وأنا أَعْلَمُ النَّاسَ بِالتَّوْحِيدِ^(١).

- هنا لا ينبغي أَنْ نَمُرَّ بِمَرُورِ الكرام دون التأمل التام، والوقوف عند

(١) نقلاً عن توحيد الصدوق ص ١٤٦-ح ١٤.

معاني هذه الكلمات بالتمام: هو نورٌ لا ظلمة فيه، فهل النور صفة ذاتية؟ وهل في النور إشارة إلى أن الصفات عين الذات؟ أليس النور مخلوقاً؟ وهل صفة الحياة من لوازمها النور؟ فالنور مقامٌ تدبيري ربوبي، وما ذُكر في الرواية كلها عناوين المحدث الأول، بلحاظ تعلّقه بالأشياء، وذلك لأن الأشياء تشيأت بالمشيئة فتبصّر.

- وفي نفس الصفحة يذكر هذه الرواية: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن التوحيد فقال: هو عز وجلٌ مثبتٌ موجودٌ، لا مبطل ولا معدود ولا في شيء من صفة المخلوقين، وله عز وجلٌ نعوتٌ وصفات، فالصفات له وأسمائها جارية على المخلوقين، مثل السميع، والبصير، والرؤوف، والرحيم، وأشبه ذلك، والنعوت نعوت الذات لا تليق إلا بالله تبارك وتعالى، والله نورٌ لا ظلام فيه، وحيٌّ لا موت له، وعالمٌ لا جهل فيه وصمدٌ لا مدخل فيه، ربنا نوري الذات، حي الذات عالم الذات، صمدي الذات^(١).

- من قال أن المراد بكلمة الذات أنها الذات، التي لا تُسمّى ولا تُتعت؟ ولم لا يكون الكلام عن ذلك المحدث التام الكامل عن أول ما خلق الله وهو نور النبي الأعظم ﷺ؟ فهذا مقامٌ اسمي قطعاً، لأنه يُوضع له اسم ويُخبر عنه فتدبر جيداً تغنم كثيراً. وأقول بضرر قاطع أن لو تأملنا قوله عليه السلام «الصفات له» لوجدنا أن «اللام» في «له» قاضية بأن الصفات عائدة له مملوكة خاصّة به، ولم يقل «الصفات هو» وبين التعبيرين،

(١) نقلاً عن توحيد الصدوق ص ١٤٠ - ح ٤١.

«هو» و«له» فرق واسع وبون شاسع، فافهم ذلك فإنه من لطائف الأسرار الموروثة عن السادة الأبرار عليهم صلوات الحق الجبار.

- وفي ص ١٥٧ يقول: على هذا يمكن أن يكون المصداق واحداً لكن المفهوم متعدد، وهذه هي نظرية الإمامية فيما تذهب إليه في الصفات من أنها جميعاً عين الذات، وهي جميعاً بعضها عين بعض في الواقع الخارجي مع تمايزها مفهوماً (انتهى كلامه).

- نرجو من سماحة السيد أن يُحلق النظر فيما كتبه القاضي محمد بن سعيد القمي^(١) في هذا الموضوع، ونقول: أليس المفهوم والمفاهيم لها حظ من الوجود؟ نعم، لا وجود خارجي لها لكن لها وجود ذهني، وإلا كيف نُميز النص وكلماته في الخطاب واللغة؟ فالتمايز هنا يكون في المفاهيم باعتبار تفايرها ولو ذهنياً، ولا يخفى أن الموطن الذهني هو أحد محال الوجود فلاحظ. كما لو قلت: العلم - القدرة.

- فما بنيتم على عينية الصفات للذات، والتمايز فيما بينها من حيث المفهوم، يستلزم في أدق المعاني إلى التركب، ويؤدي إلى الخلل في هذه النظرية لمن جاس خلال الديار في أسرار ومعاني ما ورد من الأخبار والآثار. فدقق فإنه من رحيق مختوم. وكذلك يؤدي لا محالة إلى التعددية في الذات، وهذا ما حذر منه أئمتنا صلوات الله

(١) انظر شرح توحيد الصدوق، للقاضي القمي طاب ثراه، فإنه قد أكثر القول بالبراهين الشافعية في الرد على عينية الصفات للذات، في جُل شرحه على التوحيد، وكذلك شرحه المسمى ب(الأربعين) فقد أتى في مواطن كثيرة من كتابه هذا على رد نظرية العينية بضرر قاطع فتنبه ولا تغفل.

وسلامه عليهم، وفي خطبة له عليه السلام^(١): لا تقع الأوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية، ولا تتاله التجزأة والتبعيض^(٢) ولا تُحيط به الأبصار والقلوب، وفي خطبة أخرى له عليه السلام: وإنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مُكيِّفاً، ولا في رويّات خواطرها فتكون محدوداً مصرفاً.

- يقول السيد في ص ١٧١: قال الشيخ الصدوق: إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات، فإنما نفى عنه بكل صفة منها ضدها، فمتى قلنا إنه حيّ نفينا عنه ضدّ الحياة وهو الموت، ومتى قلنا عنه إنه عليمٌ نفينا عنه ضدّ العلم وهو الجهل... إلى آخر ما يذكره من الصفات، وبعد أن ينقل السيد هذه العبارة يقول: إن هذا النسق الذي يحصر المعرفة بنفي الضد يصبُّ في إتجاه نظرية التعطيل!! فالسيد يُصنّف هذا القول في ص ١٧٠ تحت عنوان نظرية التعطيل، وينقل في ص ١٧٤ رواية منقولة من كتاب التوحيد للشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: إن للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب، مذهب إثبات بتشبيه (وهم المجسّمة) ومذهب النفي (وهم المعطلّة) ومذهب إثبات بلا تشبيه، فمذهب إثبات بتشبيه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه (انتهى)^(٣).

وهذه الرواية تُثبت المطلوب، وتتفي التعطيل ببركة (إثبات بلا تشبيه)،

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ٨٥.

(٢) عينا ولا مفهوماً.

(٣) بين الأقواس هو كلام السيد الصدوق .

فالطريق في المذهب الثالث، أثبتته ولا أحده، وقد قرّرت أن المفاهيم محدودة واللغة ضيقة، فكيف يتحدث الإنسان عن مقام الذات؟ فلا مجال لنا إلا الأسماء الحسنی، حسب الرواية الصحيحة في باب حدوث الأسماء في الكافي الشريف، حيث صرح المعصوم عليه السلام أن الاسم غير المسمی التي صقلت شخصية هشام بن الحكم عقائدياً، ورسّخت جوهر التوحيد، وكشفت حقيقة المطلب في المقام، ولذا قال هو نفسه: فما كُسرت في التوحيد مُدُ قمت مقامي، وإليك نصّ الرواية الصحيحة الصريحة، لمن يملك عينين يرى الواحدَ واحداً لا اثنين:

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام بن الحكم، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله ممّا هو مشتق؟ فقال: يا هشام الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمی، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟ قال: قلت: زدني، قال: لله تسعة وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المسمی لكان كل اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يُدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمُحرّق، أفهمت يا هشام فهما تدفع به، وتتناضل به أعدائنا المتخذين مع الله عز وجل غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله (به) وثبتك يا هشام قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا^(١).

(١) الكافي: ٨٧/١ باب المعبود.

باب النسبة

١ - أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: انسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها.

ورواه محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب.

٢ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن حماد بن عمرو النصيبى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت أبا عبد الله، عن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: نسبة الله إلى خلقه، أحداً صمداً أزلياً صمدياً، لا ظل له يمسكه وهو يمسك الأشياء بأظلتها، عارف بالمجهول، معروف عند كل جاهل، فردانياً، لا خلقه فيه ولا هو في خلقه، غير محسوس ولا مجسوس، لا تدركه الأبصار، علا فقرّب ودنا فبعد، وعُصي فغفر وأطيع فشكر، لا تحويه أرضه ولا ثقله سماواته، حامل الأشياء بقدرته، ديموميّ أزلي لا ينسى ولا يلهو، ولا يغلط ولا يلعب، ولا لإرادته فصل، وفصله جزاء، وأمره واقع، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد.

٣ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، قال: قال: سئل علي بن

الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي
 آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
 والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فمن
 رام وراء ذلك فقد هلك.

٤ - محمد بن أبي عبد الله رفعه، عن عبد العزيز بن المهدي قال:
 سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال: كُلٌّ مِنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ
 أَحَدٌ﴾ وَآمَنَ بِهَا فَقَدْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ، قُلْتُ: كَيْفَ يَقْرُؤُهَا؟ قَالَ:
 كَمَا يَقْرُؤُهَا النَّاسُ وَزَادَ فِيهِ كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي (كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي)^(١).

(١) هذه الروايات أوردناها من الكافي الشريف: م ٩١/١.



المحاضرة الثالثة

■ تتضمَّنُ المطالبُ التالية:

- مناقشةٌ موضوعيةٌ لقول السيِّد، بأنَّ الذات مملوءة بالكمالات.
- حقيقة نظرية الملاء صدرًا «بسيط الحقيقة كلِّ الأشياء، وليس بشيء منها».
- كلمات قُدسيَّة للشيخ الوحيد الخراساني دام ظلُّه العالي «كلمة من كلماتهم عليهم السلام تذري مليار عقل كعقل ابن سينا...».
- سرُّ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ والمعنى الدقيق للأسماء.
- تصريح السيِّد بأنَّ الاسم الأعظم هو عين الذات، والردُّ عليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله آل الله، فقد انتهينا ممّا سبق، وبينّا بشكل تفصيلي مواقع النظر، فيما ذكره صاحب كتاب التوحيد من موضوع خلط الأسماء بالذات، رغم ما صرح به في هذا المصنّف من أنّ الذات لا يُمكن معرفتها ومعرفة كنهها.

وعندما سرّحنا النظر في الكتاب، وجدنا أنّ المؤلّف قد بحث موضوع الأسماء الحسنی، لكنّه لم يذكر روايات حدوث الأسماء التي رواها الكليني، فلم يتعرّض لروايات الكافي الذي عَنَوْنَ باباً بعنوان حدوث الأسماء، وكذلك توحيد الصدوق، وتفسير العياشي^(١)، فإنّه قد نقل في تفسيره الروايات الواردة في الأسماء الحسنی، وهذا يُعدُّ ثلّةً في البحث لأنّه لم يأخذ كلّ الجوانب بما فيه المروي عن أهل البيت عليهم السلام.

(١) هو الشيخ الجليل أبو النصر محمد بن المسعود بن محمد بن العياش التميمي الكوفي السمرقندي من أعيان علماء الشيعة، وأساطين الحديث والتفسير بالرواية، ممّن عاش في أواخر القرن الثالث من الهجرة النبوية.

أجمع كلّ من جاء بعده من أهل العلم على جلالته قدره وعلوّ منزلته وسعة فضله، وأطراه علماء الرجال متسلمين على أنّه ثقة عين صدوق في حديثه من مشايخ الرواية، يروي عنه أعيان المحدثين كشيخنا الكشي صاحب الرجال وهو من تلامذته، وشيخنا جعفر بن محمد بن المسعود العياشي وهو ولده.

كان شيخنا المترجم عنه نشأ على مذهب أهل السنة، ثم تشيّع فكان أحد أساطين العلم وأعيان الطائفة. اشتغل في حداثة من سنّه بتحصيل العلم فلم يلبث كثيراً حتى برّع وتمهّر في شتى العلوم، وتضلّع في مختلفها كالفقّه والحديث والطب والنجوم والقيافة وغيرها.

وكان (رضوان الله عليه) ذا جدّ بليغ في تجديد ما اندرس من رسوم العلم، ورفع ما عفى من قواعده، فكانت داره مجمع رجال العلم والثقافة وطلاب الفضيلة، كالمدرسة المملوءة بأهلها من محصل وباحث وكاتب ومقابل وناسخ حتى قيل: إنه أنفق في سبيل العلم جميع ما كان عنده من مال وثروة بالغة، وقد كان ورث من أبيه ثلاث مائة ألف دينار، وكان له مجلس مع العام ومجلس مع الخاص.

ووفق رحمه الله لتأليفات جمّة في مختلف العلوم والفنون، ربّما أنهيت إلى مائتي كتاب أو أزيد، وأشهرها ذكراً وأعرفها عند القوم تفسيره المعروف بتفسير العياشي في جزئين يروي عنه علماؤنا.

وقد أصيب الكتاب من جهتين:

إحداهما: إنّ جلّ رواياته مسندة، فاختصره بعض النساخ بحذف الأسانيد وذكر المتون، فالنسخة الموجودة الآن مختصر التفسير.

والثانية: إنّ الجزء الثاني منه صار مفقوداً بعده، حتى أنّ أرباب التفاسير الروائية والمحدثين لم ينقلوا منه إلا ما في جزئه الأول من الروايات، كالبحراني في تفسير البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والكاشاني في الصافي، والمجلسي في البحار.

نعم ربما يذكر فيما يذكر أن بعض خزائن الكتب من بلاد إيران الجنوبية يحتوي على الكتاب بجزئيه، ولم يتحقق ذلك ولا اهتدينا إليه بعد، ونسأل الله عزّ اسمه أن يوفّقنا للحصول عليه ونشره بتمامه، إنّه سميع الدعاء قريب مجيب. كتب ترجمته محمّد حسين الطباطبائي، آخر ذي القعدة ١٣٨٠هـ.

وسوف نقرأ في ج ٢ ص ٣٦٢، ما أفاده بعد ذكره للآيات المباركة ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^(٢)، ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، قال: فإن مقتضى توفّره على الأسماء الحسنى، أن يكون واجداً لكل كمال وجودي على أحسن وجه وأكمله وأسماءه (انتهى).

ينبغي أن نلاحظ عبارة مقتضى توفّره، بل أنه سيُعبّر أنها (أي الذات) مملوءة بالكمالات، فهذا لا يمكن أن تكون الذات مختلفة عن غيرها من الأشياء المملوءة، إلا بمقتضى احتوائها على الكمالية والجمالية فيكون الأكبر والكبير بينهما تناسب وتقارب، ولا فرق إلا أن الذات أكبر وغير الذات أقل منها، وأنتم قلتم باستحالة معرفة الذات، فكيف يمكن تقرير قاعدة الملا صدرا^(٤) القائلة أن بساط الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها، مفاد هذه القاعدة أن الذات الإلهية مملوءة بالكمالات، وماذا تعنون بكلمة مقتضى توفّره على الأسماء الحسنى، فهل الأسماء عين الذات أم أنها غيرها؟ لأنكم قرّرت أنها عين الذات

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٠.

(٢) سورة طه: آية ٨.

(٣) سورة الحشر: آية ٢٤.

(٤) فيلسوف شيعي أخذ أفكار ابن عربي الصوفي وتبناها، ويعتبر عمدة المدرسة العرفانية الشيعية، وقد تصدّى لأفكاره الشيخ الإحسائي في كتاب شرح العرشية وكتاب شرح المشاعر وغيرها.

في مواضع، وهذا خلاف القرآن الكريم، فالعزة على سبيل المثال مربوبة قال تعالى ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١)، أليست العزة صفة كمالية، فإذا كانت كذلك وهي من ضمن المملوءات، فكيف تكون مربوبة طبقاً للنص القرآني كما في الآية المذكورة؟

ثم إنه يقول، إنَّ أروع ما دشنته قاعدة الملاء صدرا هي، قاعدة (بسيطة الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها)، ولكن هذه الكلمة مقتبسة ومأخوذة من قول المعصوم عليه السلام بوجه من الوجوه: «خلق الله المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة»^(٢)، وهذا يدل على أنَّ المشيئة مُحَدَّثَة، على الرغم من أنَّ الأمور العقائدية لا تشدد في أسانيدها، ولطالما أخذ الفلاسفة من بعض كلمات أهل البيت عليهم السلام ولا أقول من متون كلماتهم، والجدير ذكره ما أفاده الأستاذ الشيخ الوحيد الخراساني دام ظلّه العالِيّ في بيان فضل كلمة من كلماتهم على غيرهم قال: إنَّ من مصائبنا أنَّنا نصرف أوقاتنا في فهم كلمات الشيخ الرئيس ابن سينا وغيره، ولا نصرفها في فهم كلام المعصوم، الذي نراه بإشارةٍ واحدةٍ في كلامه يذري مليار عقل كعقل ابن سينا في مهبِّ الريح!

إنَّ كلَّ كلمة من كلماته عليه السلام عالمٌ مَّواج من العلم! تحتاج إلى بذل

(١) سورة الصافات: آية ١٨٠.

(٢) الكافي: م/١١٠ وقد أوردتها بسند صحيح عليه السلام، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن أبي عبدالله عليه السلام.

جهود عقلية لكي تفهم، ويُعرف منها الموضوع والمحمول والمتعلق والمتعلق به.

ثم يقول دامت أيامه المباركة: أعظم شأننا .. وأبعد غورا، من أن يبلغها الناس بعقولهم! تأملوا فقط في كلمة (أبعد غورا) لتروا أن الموضوع هنا مثل مناطق الفراغ أو الثقوب السوداء، التي يتكلم عنها الفلكيون، والتي كلما وصل إليها شعاع انطفأ، أو نجم تلاشى وفنى! إنها محيط بلا نهاية يقف الفكر البشري في ابتدائها ولا يعرف غورها وانتهاءها!

فالإمام الرضا عليه السلام يقول إن شخصية الإمام جهاز رباني، عميق الغور، أعظم من أن يبلغها الناس بعقولهم!! الناس .. كل الناس .. طبيعة الناس!

بعقولهم .. كل عقول أصحاب العقول، بما فيها عقل أفلاطون وعقل أرسطو، وعقل ابن سينا، وعقل الشيخ الأنصاري! فكل العقول عندما تصل إلى هنا تنطفئ أشعتها، وتتلشى قدراتها!

وقال أعلا الله كلمته:

إن مشكلة الإنسان كثيرا ما تكون قلة فهمه، فالذي يفهم يكثر تفكيره وتأمله ويقل منطقُه، ويتقيد بكلماته. أمّا الذي قليل الفهم فيُطلق منطقَه وسلوكَه بلا دقة، فتكثر سقطاته، ويجرّ المشكلات والمصائب على نفسه وغيره! فاحرصوا أن تكونوا علماء متعمقين، دقيقين في

استعمال الكلمات! هذه هي الإمامة مُجَمَّلاً، والوقت يمضي ولم نصل
إلى خيوط شعاع من شمسها، ولا حبات رَمَلٍ من ساحلها!

ويفيد ولنعم ما أفاد، في شرحه لقول الإمام الرضا عليه السلام: «الإمام
واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا
له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله، من غير طلب منه له ولا
اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب».

أمّا إمام الزمان أرواحنا فداه، فقد ورد له في مجموع الروايات
والزيارات والأدعية الصحيحة، مئة واثان وثمانون مقاما وصفة!

إحدى صفاته عليه السلام: (متَّ نور الله) وهي صفة يتَّحيرُ فيها العقل!

وفي قول الإمام الهادي عليه السلام في متن الزيارة الجامعة الكبيرة يقول
حفظه الله ذُخْراً وذخيرة للعارفين ما نصُّه: «كلامكم نورٌ وأمرُكم رُشدٌ».
فما معناه؟ معناه أنكم جميعاً تطلبون النور، وتبحثون عن النور، لكن
هذا النور ليس في شفاء ابن سينا، ولا في المباحث المشرقية للرازي،
ولا في كلمات أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس..

هذا النور في قلبٍ عدَّةٍ من المستقيمين، ذوي القلوب المتوقدة من
شعاع ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُوْرُ عَلَى تُوْرِ﴾^(١).

ابن سينا في آخر عُمره، وبعد أن قضى حياته في الفلسفة المشائية،

(١) سورة النور: آية ٣٥.

وولج كل الأبواب بحثاً عن ضائعه، واصطدم رأسه بالصخور مرّات عديدة... في آخر عُمره، فَهَمَّ أَنْ ضائعه لا يُوجد في تلك المداخل، وإنّما يوجد في القرآن، فكتب كلمات يُفهم منها ذلك، وكان يقضي نهاره وليله في قراءة القرآن!

ابن سينا في آخر عُمره، وبسبب قصّة لا يتّسع المجال لشرحها الآن، وصل، لكن بعد فوات الأوان! لكنّه قرّر أن يَغْتَم ما بقي له من أيام، وأخذ في قراءة القرآن ومطالعه إلى أن تُوفي!

أمّا النبي ﷺ فقال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً».

كلامكم نور.. نقرأ هذا اليوم نورا من أنوارهم صلوات الله عليهم، في هذه الرواية الشريفة، فإن لم نصل إلى عمقها وأسرارها، فإن مجرد قراءتنا لها نور وإن وصلنا إلى شرحها فهو نورٌ على نور.

وختامُ مقاله زيد في علوِّ مقامه: (إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسولاً ﷺ لإنجاز عده، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده. وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواءٌ منتشرة، وطوائفٌ متشتتة، بين مشبهٍ لله بخلقه، أو ملحدٍ في اسمه، أو مشيرٍ إلى غيره.. فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة)^(١).

(١) نهج البلاغة: ٢٤/١.

كان العالم كله في تلك الدوامة العاصفة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فجاء ﷺ وأخذ منجله النبوي فحصد كل ذلك الحشيش التافه، وغرس بدله شجرة التسبيح الطيبة، وأضاء شجرة التهليل والتوحيد، وأنار في العالم مشعل التسبيح والتحميد وأوصل البشر إلى مستوى أن يقولوا: (الله أكبر.. من أن يوصف)!

نفس: سبحان الله، ماذا تعني؟ هنا تتحير عقول الكمل من البشر.. فقد أوصل النبي المعرفة إلى هنا! أوصل التنزيه إلى هنا.. تنزيهه عن الجسم، وتنزيهه عن صفات عالم الكون، وهذا هو التنزيه الابتدائي لعامة الناس!

قال النبي سبحان الله، فهدي عقول الألوف كعقل ابن سينا، بل إن ابن سينا لا قيمة له هناك، لقد هدى النبي ﷺ ألوف العقول النيرة كعقول الأنبياء عليهم السلام إلى أقصى ما يمكنهم أن يجدوا إليه طريقاً في دائرة الوحي وإمكانيات العقل البشري، وإلى أدق معاني قوله: كلما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه، فهو مخلوق مصنوعٌ مثلكم، مردودٌ إليكم! ولا غرو فهو ﷺ نبي الأنبياء عليهم السلام! (٢)

فالرواية صريحة من حيث المتن: خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيئة، فما من شيء إلا وتشياً بذلك المقام في عالم الإحداث، فهي بسيطة وشيأت الأشياء.

(١) الحق المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام: في الصفحات ٩٧-١٨٣ - ٥٠١ - ٥٠٣ - ٥٠٤.

ويقول السيد في ج ٢ ص ٣٦٣ تحت عنوان المقصود من الاسم: هناك تمييز يقع بين الاسم اللفظي والاسم الخارجي، على هذا الضوء فإنَّ المقصود من قوله سبحانه ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ليس الألفاظ وإنما هذه الألفاظ حاكية عن مسمياتها الخارجية التي هي الأسماء الخارجية... إلى أن يضرب مثلاً في ص ٣٦٤ فيقول: إنَّ لفظ العالم من أسماء الله سبحانه، هو اسم للإسم الخارجي الذي هو الذات الإلهية مأخوذة بحيثية العلم، وهكذا بقية الأسماء (انتهى كلامه).

فيُفهم من هذا أنَّ العالم اسم، للإسم الخارجي الذي هو الذات الإلهية أي جعل الذات الإلهية ذاتاً خارجية لها تعيّن، والحال أنَّ التعيّنات بها عبّر المشيئة، ثمَّ ينقل في ص ٣٦٦ قول الطباطبائي في الميزان ج ٨ ص ٣٥٣: والقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يستعمل الأسماء الإلهية في تقرير مقاصده، ويعلمنا علم الأسماء من بين ما بلغنا من الكتب السماوية المنسوبة إلى الوحي (انتهى كلامه).

ولنا أن نسأل ما هو علم الأسماء؟ فقد ورد في سورة البقرة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾^(١) وأنتم أيضاً ذكرتم في بحث الخلافة بعد استعراض هذه الآية، مبيناً معنى هذه الأسماء وقلت إنها حيّة عاقلة عالمة، لاحظوا في مورد آدم قال: «عَلَّمَ» وفي مورد الملائكة قال: «أَنْبِئُونِي» ممّا يعني

(١) سورة البقرة: آية ٣١.

وجود فرق بين مقام «آدم المعلم» وبين مقام الملائكة المخبرة عن سر هذا التعليم، فهل هذه الأسماء هي عين ذاته؟ فهل يمكن أن تعرض الذات بأسمائها التي قلتم أنها عين الذات؟ أم أن هذه الأسماء مُحدثة بدليل قوله تعالى (ثمَّ عرضهم)، وهنا قطعاً لا يراد بها الحروف الهجائية والألفاظ بل هي حقائق وجودية، والسيد لم يذكر لا من قريب ولا من بعيد رواية (نحن الأسماء الحسنی) على الرغم من ورودها في أهم المصادر الروائية المعتمدة، فلماذا لم يُورد هذه الرواية ورواية هشام الأخرى الواردة في «الأسماء»، وقد ذكرتم في سعة الأسماء وضيقها، أن الأسماء بينها مراتب وقلتم إنَّ العرفاء يقولون إنَّ الأسماء منها ما هو كلي ومنها ما هو جزئي، لا بالمعنى الفلسفي بل بمعنى عرفاني، فأنتم تريدون أن تثبتوا أن هذه الأسماء حقائق خارجية، فقلتم في ص ٣٦٩: على ضوء هذه الملاحظة راح الفلاسفة بل العرفاء أيضاً يُقسِّمون أسماء الله (سبحانه) إلى أسماء كلية وجزئية، والمقصود من الكلي والجزئي هنا ليس معناهما الفلسفي أو المنطقي، بل المعنى العرفاني الذي يعني السعة الوجودية والضييق الوجودي، فكلاً كان الشيء أوسع وجوداً وأبعد أثراً في هذا العالم فهو كلي، وكلاً كان أضيق وأقل تأثيراً فهو جزئي، المناط في هذا التقسيم للأسماء ليست معايير الكلي والجزئي في الفلسفة والمنطق كما أسلفت الإشارة، بل الآثار المترتبة عليها وفاعليتها الوجودية لأنها حقائق خارجية (انتهى كلامه).

فهل هي حقائق خارجية مع الذات أم أنها مُحدثة بكيف لا ندركه؟

ويقول في ص ٣٧٠: والقاعدة العامة أننا حين ننسب الأسماء بعضها إلى بعض، فإن الاسم يكون واسعاً وعمماً و كلياً بالنسبة إلى ما دونه، وخاصاً وضيقاً جزئياً بالنسبة إلى ما فوقه، حتى ينتهي النسق الترتيبي إلى ذروة عليا بحسب التسلسل الأعلائي، فإذا ما صعدنا حلقة حلقة نحو الأعلى ننتهي إلى إسم لا يوجد فوقه إسم من حيث الفاعلية الوجودية والآثار المترتبة عليه، وهذه الذروة أو الاسم أو الحقيقة العليا هي التي يُطلق عليها في النصوص الروائية الواردة عن النبيّ وأهل البيت عليهم صلوات الله، بل وفي التراث الإسلامي عامة، الاسم الأعظم، كما قد يُعبّر عنه في بعض الأدعية بالاسم الأعظم الأعظم (انتهى كلامه).

فالموضح أن هناك مقام الاسم الأعظم، وهناك تسلسل وصعود ونزول، فهل يكون هذا التسلسل في مقام ذاته أم مقام مُحَدَّثاته؟ وهل السعة والضيق في ذاته؟ هذا لا يمكن قبوله عقلاً ولا نقلاً. ثم يؤكد السَّيد أن الأسماء ليست مجرد ألفاظاً، ففي ص ٣٧١ عنوان حقائق أم ألفاظ؟

ويقول تحت هذا العنوان في ص ٣٧٣: أمّا بالنسبة إلى لفظ الجلالة (الله) فهو اسم لذات واجب الوجود المستجمع لصفات الكمال كافّة، وهو ليس الاسم الأعظم، وإنما هو اسم للاسم الأعظم، والاسم الأعظم هو الذات الإلهية المقدسة المستجمعة لجميع صفات الكمال والجمال (انتهى كلامه)

فكيف تكون «اسماً»، والذات لا اسم ولا رسم؟ فكيف عرفنا أن الذات في كنهها «اسم» وأنتم قررتم أن الذات لا يمكن معرفتها، فكيف قررتم أن الاسم الأعظم هو الذات المقدسة؟ بل إن الطباطبائي صرح في المجلد الثامن من تفسير الميزان: قال وأما هذه الحُجَاب الثلاثة الله- تبارك- وتعالى، والاسم المحجوب إنها جميعاً دون الذات أي أن مرتبتها أخرى، وأما الذات فلا ينتهي إليها إشارة ولا يقع عليها عبارة إذ كل ما تحكيه عبارة أو تؤولي إليه إشارة اسم من الأسماء، محدود بهذا النحو والذات المتعالية أعلى منه وأجل. وهذا الذي أفاده العلامة دليل إثبات حدوث الأسماء، لذا عنون الكليني طاب ثراه باباً تحت عنوان (باب حدوث الأسماء) فتأمل جيداً ولا تغفل.

والملاحظ أن السيد يبدأ بدور الملائكة في التدبير في ج ٢ ص ٣٧٥ إلى ص ٣٨٧ يثبت أن الملائكة مظاهر الأسماء ويكرر ذلك ويؤكد، ثم يأتي من ص ٣٨٨ إلى ما بعد تحت عنوان المظهر الإنساني للاسم الأعظم، يقول في هذا المقام إن النبي وأهل البيت عليهم السلام ليسوا إلا مظاهر، فالمظهرية كما للملائكة والأنبياء فكذلك لأهل البيت ولا فرق، إلا أن الملائكة مظاهر للأسماء، والنبي الأعظم صلوات الله عليه وآله مظهر للاسم الأعظم والاسم الأعظم عين ذاته !!!

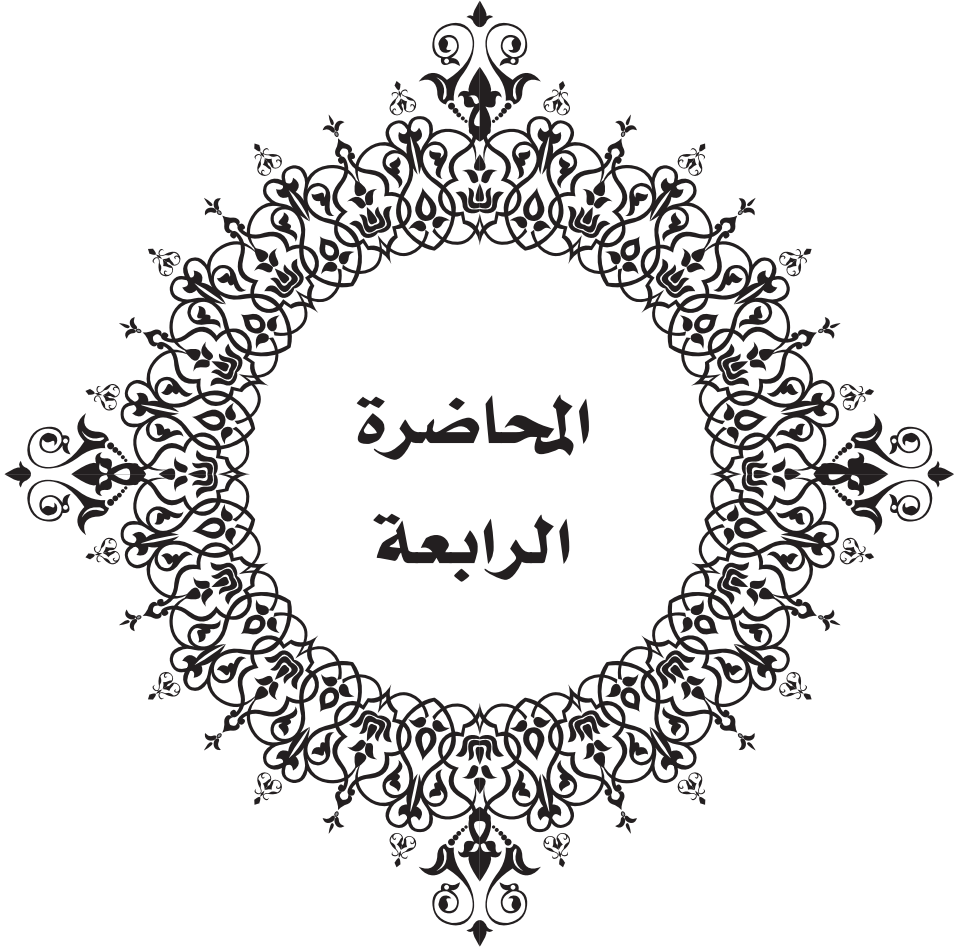
أقول: ما ذكره عجيب غاية غريب نهايته، وذلك لأن الاسم الأعظم لا يخرج عن كونه مقاماً اسمياً جامعاً للصفات، وهو في الحقيقة المقام الإسمي الأعلى المحدث المتجلي بالأسماء الحسنی طبقاً للنصوص

الصريحة، التي أوردها الأعلام في المصادر المعتبرة كالشيخ الكليني في الكافي باب التوحيد، والشيخ الصدوق في كتابه الفريد «التوحيد» وأهم ما ورد فيها صحيحة هشام بن الحكم التي نصت على أن الاسم غير المسمى، فراجع إن شئت المعرفة الحقّة وتأمّل إن أردت اللّحوق بالحقيقة. ودقق وتبصّر الأسماء الحسنی، فالأئمة عليهم السلام حقيقة الأسماء الحسنی وليسوا مظاهر الأسماء فحسب، فما قرّرتهم مخالف لروایات أهل بیت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم. كما ورد في النصّ الشريف عن أبي عبد الله عليه السلام قوله «نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يتقبّل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا».

كما سيأتي عرض كامل للنصوص المصرّحة بذلك في المحاضرة الرابعة، فانتظر إنّّا منتظرون.

ومن هنا يقطع العارف بمعاريض كلماتهم والنّاظر لمتون أخبارهم بأنّ الأسماء الحسنی بما فيها أعلاها وهو الاسم الأعظم هي حقائق المتجلّي في عوالم الإمكان والأكوان والأعيان لا أنهم عليهم السلام مظاهرها، بل هي هم وهم هي فتأمّل تغنم.

وصلّى الله على محمّد وآل محمّدٍ عدّد ما في علمه ودوام مُلكه.



■ تتضمنُ المطالبَ التالية:

- بيانُ روائيِّ تفصيليٍّ لحقيقة «الأسماءُ الحسنَى».
- تحليلُ دقيقٍ للرّوايات الدالّة على الحمل الحقيقي لقول المعصوم عليه السلام.
- نقل روايتين من غُرر الروايات سَمَكاً وأشدّها عُمَقاً.
- فَذَلِكَةُ المطلب في صحيحة هِشام، وسرُّ السُّؤال عن اشتقاق الأسماء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله
آل الله.

شرحنا فيما سبق أنَّ كلمة «مظاهر» بمعنى أنَّ أهل البيت عليهم السلام مظاهر الاسم الأعظم، لم ترد في الروايات الشريفة الواردة في كتبنا المعتمدة، بل الوارد خلاف القول من أنهم مظاهر الاسم الأعظم، وإليك بعض الروايات الصريحة لما ذهبنا إليه، فقد أورد الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١)، قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا^(٢).

وبالنظر الأولي لهذا المتن نجد أنه قد تضمن «القسم» بقوله عليه السلام «والله» ولذلك فإن الجملة تامة، مكوّنة من موضوع ومحمول، فالموضوع نحن، والمحمول الأسماء الحسنى، أي الأسماء الحسنى عيننا، ولم يقل نحن مظاهر الأسماء الحسنى، وكذلك فإن الآية صريحة في أنه تقدّست أسماؤه لم يرد فيها «هو الأسماء الحسنى»، بل ما في متنها (له)، (لله) فتنبّه ولا تغفل.

نص آخر أورده العياشي^(٣)، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: إذا نزلت

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٠.

(٢) باب النوادر كتاب التوحيد المجلد الأول، ص ١٤٣.

(٣) في تفسير العياشي، ج ٢، في تفسير الآية المذكورة في المتن.

بكم شدة، فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا.

نص ثالث: أورده الشيخ المفيد رحمه الله في الاختصاص قال: قال الرضا عليه السلام إذا نزلت بكم شديدة، فاستعينوا بنا على الله عز وجل، وهو قوله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

نص رابع: الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي وذكر الحديث إلى أن قال: فليس له شبه ولا مثل ولا عدل، وله الأسماء الحسنى التي لا يسمي بها غيره، وهي التي وصفها الله في الكتاب، وقال ﴿فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾^(١)، أي جهلاً بغير علم...

نص خامس: الشيخ المفيد في الاختصاص عن الباقر عليه السلام قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري قال: يا رسول الله ﷺ ما تقول في علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: فذاك نفسي، قلت: فما تقول في الحسن والحسين؟ قال: هما روحي، وفاطمة أمهما ابنتي يسوؤني ما أساءها، ويسرنني ما أسرها، أشهد الله إنني حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم، يا جابر إذا أردت أن تدعو الله فيستجيب لك، فادعهم بأسمائهم فإنها أحب الأسماء إلى الله عز وجل.

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٠.

وبعد العرض لهذه النصوص، يَنكشف لك أنها محمولة على الحقيقة، فالمحمول هنا أُخذ بنحو الحقيقة، والمعصوم عليه كما رأيت ودريت إنه في مقام البيان، وليس في مقام المجاز والكناية. وكذلك فإن الآية ورد فيها (فله) ولم يقل فهو، فالأسماء له، ولو كانت عينه لقال «فهو»، نظير قوله «له ما في السموات وما في الأرض» فهل المعنى أنه هو ما في السموات والأرض؟ فهل مَنْ في السموات وَمَنْ في الأرض عينه أم أنه عائدٌ إليه؟ وبالتالي هي غيره. وفي كتاب التوحيد باب حدوث الأسماء رواية مهمة جداً، تُعتبر من غرر الروايات في المقام، وهي أبعد سَمَكاً وأشدَّ عمقاً من كثير مما ورد، لذا ينبغي التعامل مع ما سنُورده بغاية الدقة ونهاية التدبّر، وستجد صدق المقال وحقيقة الحال، ويبد الحق المبدأ والمآل، وهداية مَنْ شاء الله المتعال، والعرة الزاكية من الآل.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غير منطوق، وبالشخص غير مُجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مُبعد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كل متوهم، مُستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجّب منها واحداً، وهو الاسم المكنون المخزون، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى، وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكل ركنٍ منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرحمن الرحيم

الْمَلِكِ الْقَدُّوسُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، الْعَلِيمُ، الْخَبِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكِيمُ، الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ، الْمَتَكَبِّرُ، الْعَلِيُّ، الْعَظِيمُ، الْمُقْتَدِرُ، الْقَادِرُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْبَارِئُ، الْمُنْشِئُ، الْبَدِيعُ، الرَّفِيعُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّازِقُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ الْبَاعِثُ، الْوَارِثُ.

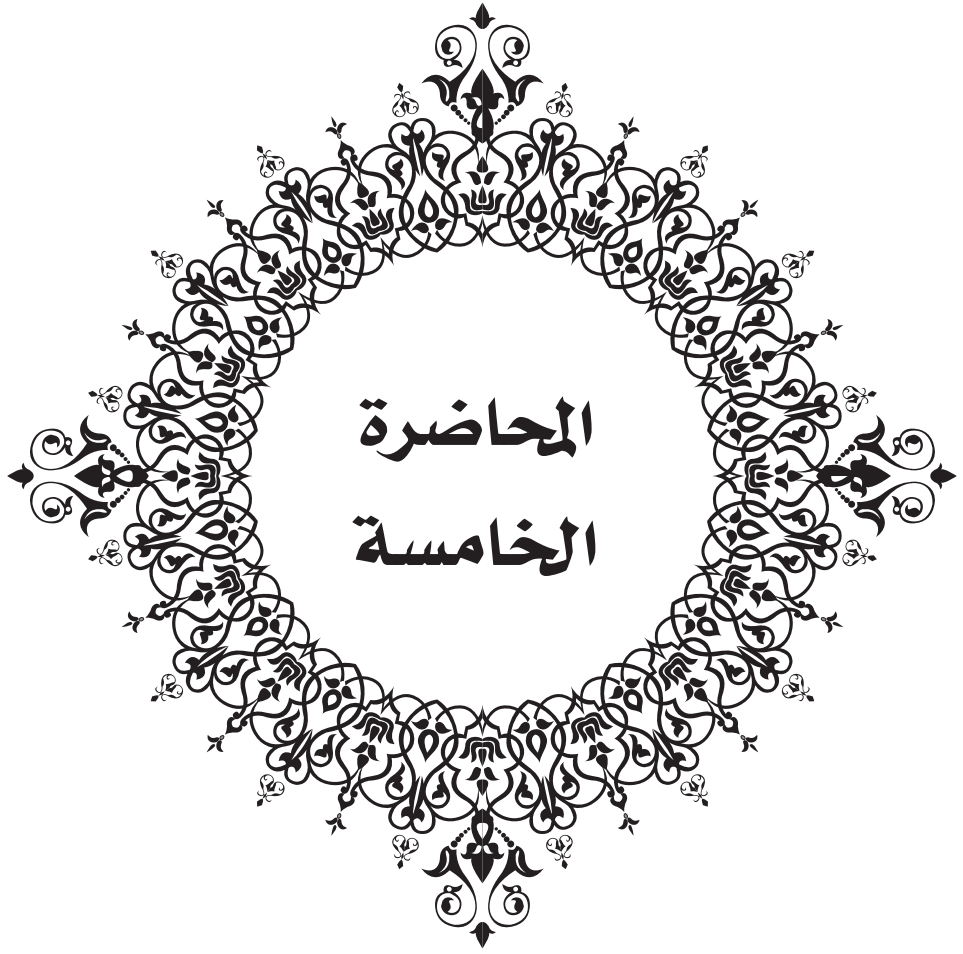
فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاث مئة وستين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان، وحُجِبَ الاسم الواحد المكنون المخزون وذلك قوله تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(١) والمستفاد من تمام النص إن كنت تدبرته فيه، هو أن الأسماء محدثة، فارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حَسِير.

رواية أخرى في باب المعبود من الكافي الشريف، وفي سندها علي بن إبراهيم، عن أبيه عن النضر بن سويد، عن هشام بن الحكم، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها، الله مم هو مشتق؟ قال: فقال لي: الله مشتق، من إله، والإله، يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى، فَمَنْ عَبْدَ الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يَعْبُدَ شيئاً، وَمَنْ عَبْدَ الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، وَمَنْ عَبْدَ المعنى دون الاسم، فذاك التوحيد. أفهمت يا هشام؟ قال: فقلت: زدني، فقال: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً

(١) سورة الاسراء: آية ١١٠.

وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كل اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء، وكلها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق، ثم قال: أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله جل وعز غيره، قلت: نعم، قال: نفعل الله به وثبتك يا هشام، فقال هشام: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت من مقامي هذا.

وهنا نلاحظ أن «هشاماً» سأل عن «الله»، ولو كان الله هو الذات لما تجرأ أن يسأل، ونلاحظ أن الإمام عليه السلام كان في كل مرة يسأل هشاماً: أفهمت؟ وهذا يدل على أهمية المطلب، ثم نلاحظ أن الإمام عليه السلام يبين له بالأمثلة أن الاسم غير المسمّى، وفي آخر النص يدعو له الإمام عليه السلام بالثبات، وأن ينتفع بهذا العلم وأن يناضل فيه، لأن هذا العلم يحتاج إلى المجاهدة والمناضلة، فتفهم السرّ وما حوى، هذا وصلى الله على محمد وآل محمد، صلاة تشحن الهواء، وتملأ الأرض والسما.



■ تتضمن المطالب التالية:

- تحقيق رائج لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
- الرد القاطع على مدعى السيد الحيدري في أن الآية معناها «ليس كمثل ذاته شيء».
- بحث تحقيقي في «الكاف» في قوله تعالى ﴿كَمِثْلِهِ﴾.
- عرض للآيات القرآنية التي تشير إلى المثل، وما يتمخض منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله
آل الله.

تعرض القاضي القمي رحمه الله لبيان سير هام وعجيب^(١) في
قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، وقد فتح
هذا البحث باباً واسعاً في معرفة سر هذه الآية التي بمعرفتها تُرفع
الحجب عن المعنى الحق، وقبل الخوض في غمار هذه الآية المباركة
نشير إلى أن فهم معنى هذه الآية، والوصول إلى مغزاها يُعين على
فهم كثير من معاني التوحيد، وقد أتيت بالأدلة القرآنية، والروائية
، وأقوال بعض الفلاسفة والعلماء، ولنبدأ بطرح السؤال التالي:

ما المقصود -في واقع الأمر وحقيقة المعنى- بالآية؟ والجواب عنها
يتوقف على تحرير معنى (الكاف)، فما المعنى واقعاً منها؟ «كمثله»
خبرٌ مقدّم وشيء اسم متأخر، لأن أصل الجملة ليس شيء كمثله،
فهل الكاف صلة أم أصلية؟ هل هي زائدة أم أساسية أصلية؟ وهنا في
المقام بحث عميق ودقيق بين كبار النحاة الذين بينوا حسب المشارب
معنى الكاف، وسوف نأتي على ذكر آراء العلماء، ونثبت أن المثل شيء،
والذات شيء آخر، لا كما ذهب إليه جُلّ المفسرين وعلماء الفلسفة
وغيرهم من أن المقصود (كمثله) الذات المقدسة.

(١) شرح الأربعين: الحديث الخامس/ اللمعة الثانية/ الصفحة ١٧٠.

(٢) سورة الشورى: آية ١١.

ولنبداً بذكر ما ورد عن كتاب التوحيد للسيد المحقق كمال الحيدري: حيث يقول في ج ١ ص ٢٩١ تحت عنوان النظرية الثانية في مناقشته للنظرية الثانية التي هي نظرية المُجَسِّمة، فيقول: لقد فات أصحاب هذه النظرية أن قوله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا يقتصر على الذات الربوبية وحسب، بل هو بلورة لقاعدة مطردة أو قانون عام، يضبط المعرفة التوحيدية ويوجهها في بحث الصفات والأفعال كما في الذات، فكما أنه ليس كمثل ذاته شيء، كذلك ليس كمثل صفاته وأفعاله شيء يماثله (انتهى كلامه).

وأما في ج ٢ ص ٤٦٧ قال تحت عنوان تطبيقات روائية، فيقول: فالمنطلق في هذه النصوص تنزيه الله تقدّست أسماؤه عن شوب الممكنات، انطلاقاً من الأساس ذاته الذي اجتمع عليه البرهان والقرآن وعبر عنه القرآن بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ بمعنى أن العقل والنقل أو البرهان والبيان يلتقيان عند أساس واحد في المسألة، كما يلتقي على الأساس نفسه القرآن والحديث، ليتحوّل ذلك إلى إطار تنزيهي ضخم ومُكثَّف يُحيط الذات الإلهية (انتهى كلامه).

فالسيد استفاد من الآية نفي المماثل لذاته، وبهذا يتضح اعتماده في النصوص الروائية على نفي المثلية عن ذاته، وهذا الشيء لم ينفرد به السيد، بل إن كتب الفلاسفة والعرفاء مشحونة بمثل ذلك، إلا أنني أود أن أشير في مقام الردّ بالاعتماد على كلمات كبار النحاة، والرجوع إلى الآيات القرآنية التي تناولت المثل، وإلى كشف سرّ مصون في

كتاب مكنون، يراه الناقد البصير رأي العين، واحداً لا اثنين فانتظر إننا منتظرون، فهل الآية نازلة إلى نفي المثل عن المثل الذي هو مقام المثل الأعلى، باعتبار أنه هو المبتدع والجامع لجميع صفات الجمال والكمال والجلال أم إلى شيء آخر؟

فالقرآن تحدّي أن يؤتى ولو بسورة واحدة من مثله، وكذلك يستبطن هذا التحدي للعارف إشارة إلى المحدث الذي في صدره احتوى القرآن وجميع الكتب السماوية، وكما سنبين ذلك قريباً إن شاء الله: قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس في تعليقه على المقرب قال: أكثر الناس هي زائدة للتوكيد.

فهنا اعتبرها زائدة فصار أصل العبارة «ليس مثله شيء»، وقال جماعة من المحققين ليست بزائدة وإنما هي على بابها، ومعنى الكلام والله أعلم نفي مثل المثل، ويلزم من ذلك نفي المثل ضرورة وجوده سبحانه، فإن قيل لم توصّل إلى نفي المثل بنفي مثل المثل، وهلا نفي المثل من أول وهلة؟ فالجواب: إن نفي المثل بنفي مثل المثل أبلغ وأفخم من قولنا أنت لا تفعل هذا لأنه نفي الشيء بذكر دليله، فهو أبلغ من نفي الشيء بغير ذكر دليله ^(١) (انتهى كلامه).

وأنت كما ترى ممّا نقلناه من أنّه كلام جمع من المحققين، وليس قولاً شاذّاً، وأثبتوا أنّ الكاف أصلية، لأنّه أراد أن ينفي المثل عن المثل

(١) اعراب القرآن الكريم، محيي الدين درويش: ج ٩ / ص ١٦-١٧-١٨.

الأعلى، فالنظر إلى الموجد الكامل والمخترع المبتدع التام، والأبلغية والأفهمية أن تأتي بشيء يعجزون عن الإتيان بمثله، لا أن ينفي المثلية عن ذاته. وسنوافيك -قريباً بإذن الله- بما يدحض رأي السائحين والمتكلمين في ذاته. والمقارنين في مقام التحدي إثباتاً أو نفياً معها غيرها، فارتقب إننا مُرتقبون.

ثم قال: قال الشهاب الحلبي المعروف بابن السمين: قوله ليس كمثله شيء في هذه الآية أوجه، أحدها وهو المشهور: أن الكاف زائدة في خبر ليس وشيء اسمها، والتقدير ليس شيء مثله، قالوا: ولولا ادعاء زيادتها لزم أن يكون له مثل وهو محال، إذ يصير التقدير على أصالة الكاف ليس مثل مثله شيء فنفي المماثلة عن مثله، فثبت أن له مثلاً ولا مثل لذلك المثل، وهذا محال على الله تعالى (انتهى كلامه).

ولكن ما يلاحظ عليه: هو أنه لم يدرك معنى المثل، الذي صرحت به معاجم اللغة: فالمثل بمعنى الصفة وهي من ضمن معان آخر ذكرت في تعريف هذه الكلمة: بمعنى الصفة فلا مانع -مبدئياً- أن نقول ليس مثل مثله شيئاً.

قال ابن قتيبة: العرب تقيم المثل أو المثل التام، النفس، فتقول مثلي لا يقال له هذا، أي أنا لا يقال لي هذا.

وابن هشام الأنصاري في المغني، ذكر رأيين في المسألة: الأول: إن الكاف زائدة، الثاني أنها أصلية، قال: إن هذه الآية للزيادة، لأنه قال

إذا بالغوا في نفي الفعل عن أحد قالوا مثلك لا يفعل كذا، ومرادهم إنّما هو النفي عن ذاته (انتهى كلامه).

فنُشِكل عليه بأنّ ما ذكرتموه مخالف لظاهر الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ والمثل يعني معنى، والذات معنى مغايراً، فالمثل شيء والذات شيء آخر، فكلام النّحاة كلام باطل، وذلك أنّه كيف جعل الذات مقابلة للعدميات؟ فالوجود كلّ في مقام ذاته عدم، وهذا هو التّوحيد الذي يميل إليه العقل والوجدان وهو التّوحيد المُستَقى من الرّوايات الشّريفة.

وأما الزمخشري فإنّه له نفس مبنى ابن هشام الأنصاري وقد ردّ عليه ابن منير وبعض العلماء، فلا داعي للإطالة بنقل الأقوال والردود فقد اتّضح انقسام النّحاة في هذه المسألة.

- ولنتدرج مع الآيات القرآنية الكريمة في بيان معنى المثل:

- سورة البقرة آية ٢٣ : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ﴾.

وبالملاحظة الدقيقة نجد أنّ الحقّ تعالى قد جعل سورة من سور القرآن موضع التحدي، وموضع التحدي لا يقتصر على الألفاظ، بل المعاني والحقائق.

- سورة آل عمران آية ٥٩ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ﴾.

فيعسى عيسى مثل آدم عيسى مثل، فأراد أن يبين أن هناك صورة مطابقة للأصل.

- سورة النحل آية ٦٠ : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فالآية ناظرة إلى المثل الأعلى وقال (ولله) المثل الأعلى أي جعل له المثل الأعلى، والمثل الأعلى بنصوص روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم هو حقيقة جامعة أحصى فيها كل شيء، فالمثل ليس عينه بل عائد له.

- سورة النور آية ٥٣ : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

- سورة الروم آية ٢٧ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

انظر بدقة لمتن الآية «وله» وتدبر حقيقة «له» سينجلي المعنى من الغمم.

- سورة الزمر آية ٢٧ - ٢٨ : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

وفي هذا إشارة للأمثال العليا والأسماء الحسنى.

- الطور آية : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ
إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿

فالحديث تارة يكون لفظياً، وتارة يكون وجوداً حقاً حقيقياً.

وهذه الآيات ذكرناها على سبيل الإستشهاد، بل على نحو الدليلية لإثبات أَنَّ النَّظَرَ فِي الْآيَةِ الْمَجِيدَةِ إِلَى نَفْيِ الْمِثْلِيَّةِ لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى، لِبِدَاهَةِ أَنَّ الذَّاتَ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا إِلَّا الذَّاتُ، فَتَأَمَّلْ سِرَّ قَوْلِ رُكْنِ التَّوْحِيدِ الْأَعْظَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي دَعَاءِ الصَّبَاحِ بِقَوْلِهِ «يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَجَلَّ عَنْ مَلَأَمَةِ كَيْفِيَّاتِهِ». خُذْ مَا آتَيْتَكَ عَمَّا وَرَدَ عَنْهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

وسوف نأتي على ذكر الأخبار والروايات في المحاضرة القادمة إن شاء الله، هذا وصلى الله على محمدٍ وآله الأطهار، ما دام الليل والنهار.



المحاضرة
السادسة

■ تتضمَّنُ المطالبَ التالية:

- الردُّ العلمي والنَّقْضُ البرهانيَّ على نظر تفسير الأَمتل في تَبنِيَّه المعرفة الإجمالية للذات.
- أسرجة مَضِيَّةٌ في بيان استحالةِ المقابلة بين الذات وبين ما سواها من الممكنات على الإطلاق.
- حقيقة المَثَل في الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في السِّرِّ المصون في الزيارة الجامعة الكبيرة.
- الذات لا دلالة عليها إلاَّ الذات «يا مَنْ دَلَّ على ذاته بذاته».
- عَرَضٌ كاملٌ لدعاء رجب، فَإِنَّهُ خَيْرُ دَلِيلٍ لِمَقَامِ الْمُتَجَبِّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله آل الله .
ما زال الكلام في سرّ وجوهر المقصد الأسنى في مجيد قوله تقدّست
أسماءه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ .

ولنشرع فيما ذكر بعض المفسّرين من بيان في هذا المقام:

وأما صاحب تفسير الأمل في ج ١٢ ص ٢٤٩، في معرفة صفات
الله تعالى: إنّ علمنا وعلوم الكائنات جميعاً محدود، لذا لا نستطيع أن
نصل إلى كُنْهِ وحقيقة ذات الخالق غير المحدودة، لأنّ المعرفة بحقيقة
شيء إنّما تعني الإحاطة به، فكيف يستطيع الكائن المحدود أن يُحيط
بالذات غير المحدودة؟

لكن بعد سطرين يقول فعلمنا بذات الخالق وصفاته علم إجمالي،
أكثر ما يدور حول آثاره جلّ وعلا!!!

أقول: هذا خلاف ما فرضتم وقرّرتهم، فالشيء المستحيل لا يُفرّق
بين تفصيله وإجماله، فالتفريق بلا دليل مُفرّق، والتخصيص بلا
دليل مُخصّص، والاستحالات العقلية لا يُفرّق فيها بين التفصيل
والإجمال، فتدبّر جيداً ولا تغفل.

ويقول في الصفحة التي بعدها: إنّ الكاف في جملة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ﴾ للتشبيه وتعني المثل أيضاً، لذا فإنّ هذا التكرار أصبح سبباً
لأن يعتبر الكثير من المفسرين أنها زائدة (انتهى كلامه).

والملاحظة فيما أفاد، أنه أراد أن يقول إنَّ هذا تعجيز الطرف الآخر الإتيان بمثل هذه الصفات، لكن المشكلة أنه ناظر إلى المعرفة الإجمالية إلى الذات.

وسوف أذكر أسرجة من كتاب مجمع التفاسير^(١) وهو كتاب يضم فيه بعض التفاسير للشيخ الأوحى الإحسائي قدس سره وبعض العلماء، وقد اخترت أربعة سراجات.

السراج الأول: أنتم ونحن متفقون على إمتناع الشريك مطلقاً، الإمتناع الواقعي ذهنياً أو اعتباراً أو تقوياً أو ألخ، نستفيد منه أنه إذا لم يكن شريك لا في الوجود الخارجي ولا في الوجود الذهني ولا في الاعتباريات ولا في التعقّلات ولا في التوهّمات، فهل هناك ما يفرض له من شريك أو مثل، وما الحاجة لمثل هذا الفرض، والحال أن الشريك والمثل عدم عدم، فإذا نفينا الشريك إطلاقاً فلا معنى أن يقول: هل لي نظير؟ وهل يُقاس الوجود بعدم؟

السراج الثاني: في مقام المقابلة والمقايسة نفيّاً أو إثباتاً، لا بدّ أن تكون هناك سنخية أو وجه ارتباط أو أي علاقة من العلائق، تقول زيد كالأسد، فهناك نوع ارتباط، فالشجاعة مورد العلاقة، فلا بدّ من وجود علاقة وسنخية، فما هو وجه السنخية بين الذات والأشياء؟ فالأشياء مشيئة بما فيها العقل، وقد ورد في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام: خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيئة.

(١) مجمع التفاسير: المجلد الثاني، سورة الشورى الآية رقم ١١.

السراج الثالث: شرط المقابلة والمقايضة وشرط النفي أن نمرّ بأربع مراتب:

● الأولى: أن تكون هناك ذات مساوية له في تمام صفاته الذاتية، ولو فرضاً أو تقديرًا.

● الثانية: لا بدّ أن تكون هناك مرحلة صفاتية، بأن تتوفر في ذلك المقابل جميع صفات العلم والكمال والسمع والبصر، ليكون أساس التحديّ قائماً على الإتيان بهذه الصفات.

● الثالثة: أن تكون له قابلية خلق الأشياء على خلاف ما عند المقابل له بالتمام، حتّى يكون في مقام التحديّ.

● الرابعة: أن يكون لذلك المقابل هناك مَنْ هو في مرحلة العبودية التمامية حتّى يكون التحديّ والإثبات في هذا المقام.

فإذا لم يكن مَنْ هو جامع المراتب الأربع، فإنّ مَنْ تكون المقابلة؟ وهنا أودّ أن أسجّل ملاحظتي في ضرورة الإصغاء للرأي الآخر، فكم ترك الأول للآخر، والجدير بالذكر أنني قد أُخبرتُ بأنّ بعض أساتذة الفلسفة في الحوزة العلمية بقم المقدّسة قد اطّلع على كتابنا «التوحيد الخالص» وأبدى نظره في ضرورة نشر الرأي الآخر في الأوساط العلمية، لتكون النتيجة على ضوء الدراسات والمراجعات لما ينتج من مخاض في أمر التّوحيد، الذي يَبْتَنِي أساساً على التدبّر والتأمّل في متون ما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، وذلك لأنّ الخوض

فيه على أساس الآراء والعقول التي لا تبلغ مثل هذه المقامات المحجوبة إلا بما شاء الله وبيّنه أهل البيت عليهم السلام. فافهم المقصود لتبلغ مقام الشهود.

وعلى ما بيّناه يظهر لك أنه لا زيادة في القرآن، لا في حرف ولا في كلام «كتاب أحكمت آياته».

وأما الروايات: فإنه قد نقل مؤلف كتاب التوحيد في المجلد الأول من كتابه ص ١٠٢ قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لم يُطْلَعْ العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته^(١).

أي أن الصفة لا يمكن أن تحدّد، وما فتَحَ عقلاً من العقول عن تحديد صفته.

رواية أخرى: التوحيد للصدوق الباب ٥٠ العرش وصفاته: وهي أن جماعة يدخلون على الإمام عليه السلام فيسألونه في موضوع اليد والرجلين والجلوس على العرش والأنامل.

فلمثل هذه الصفات قال تعالى ﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، فيقول الإمام عليه السلام: أي ربّ المثل الأعلى عمّا به مثّله، ولله المثل الأعلى الذي لا يشبه شيئاً ولا يوصف ولا يُتوَهَّم فذلك المثل الأعلى، إلى أن يقول: ووصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم، فوصفوا ربّهم بأدنى الأمثال وشبّهوه بالمتشابه منهم فيما جهلوا به، فلذلك قال ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

(١) الخطبة ٤٩ نهج البلاغة.

إِلَّا قَلِيلًا ﴿ فليس له شبه ولا مثل ولا عدل، وله الأسماء الحسنى لا يُسمَّى بها غيره، وهي التي وصفها في الكتاب فقال ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فالذي يلحد في أسمائه وهو لا يعلم، يُشرك، ولذلك قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾، فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها عن مواضعها، يا حنان إنَّ الله تبارك وتعالى أمر أن يتَّخذ قوماً أولياء فهم الذين أعطاهم الله الفضل وخصَّهم بما لم يخصَّ به غيرهم، فأرسل محمداً ﷺ فكان الدليل على الله بإذن الله عزَّ وجلَّ حتَّى مضى دليلاً هادياً، فقام من بعده وصيَّه عليه السلام دليلاً هادياً على ما كان هو عليه، دلَّ عليه من أمر ربه على ما هو عليه من ظاهر علمه ثمَّ الأئمة الراشدون عليهم السلام.

وفي تفسير آية النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْكَوٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ قال علي بن إبراهيم القمي عن الإمام الصادق عن أبيه، قلت لجعفر بن محمد: جُعِلَتْ فداك يا سيدي إنَّهم يقولون مثل نور الربِّ، قال سبحانه الله! ليس لله مثلٌ، قال الله تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ هنا أنتم تجعلون الأمثال؟ فلا تضربوا لله الأمثال.

وأما السرُّ المصون في الكتاب المكنون لتوضيح سرِّ «المثل» فهو في السفر الخالد والزيور الأبدي والفرقان والبرهان قول الإمام الهمام في «الزيارة الجامعة الكبيرة» «السَّلام على أئمة الهدى ومصابيح

الدُّجى، وأعلام التُّقى، وذوي النُّهى، وأولي الحِجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحُجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته» ويضاف إلى ذلك دليل آخر أقوى حُجّة وأتمّ محجّة، وهو قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح «يا مَنْ دلّ على ذاته بذاته» فهل بعد الحقّ إلا الضلال؟ وما المقصود من حاقّ هذه العبارة، التي هي أتمّ الحُجج وأعظم البراهين بما لا يكون معه ريبٌ أو شك «فالدلالة على الذات لا تكون إلا بالذات» فهل يُعقل التحدي أو النفي لغيره ممّن هو في «إذ الخلاق بالغيّب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة» فتدبر هذا فإنّه من أفنان شجرة طوبى وسدرة المنتهى.

وفي التوقيع الذي خرج على يد الشيخ محمّد بن عثمان بن سعيد قال: ادعوا في كلّ يوم من أيام رجب بهذا الدعاء: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ اَللّهُمَّ اِنِّي اَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعَ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ اَمْرِكَ، اَلْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، اَلْمُسْتَبْشِرُونَ بِاَمْرِكَ، اَلْوَاصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ اَلْمُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ، اَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيَّتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَارْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا اَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتَقْهَا وَرَتَقْهَا بِيَدِكَ، بَدْوُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ، أَعْضَادُ وَأَشْهَادُ وَمُنَاةٌ وَأَدْوَادُ وَحَفَظَةٌ وَرُودُ، فَبِهِمْ مَلَأْتَ سَمَائِكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، فَبِذَلِكَ

أَسْأَلُكَ، وَبِمَوَاقِعِ الْعِزِّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَبِمَقَامَاتِكَ وَعَلَامَاتِكَ أَنْ تُصَلِّيَ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْ تَزِيدَنِي إِيمَانًا وَتَثْبِيثًا، يَا بَاطِنًا فِي ظُهُورِهِ
 وَظَاهِرًا فِي بُطُونِهِ وَمَكْنُونِهِ، يَا مُفَرِّقًا بَيْنَ النُّورِ وَالْدِّيْجُورِ، يَا مَوْصُوفًا
 بِغَيْرِ كُنْهِ، وَمَعْرُوفًا بِغَيْرِ شَبْهِ، حَادٌّ، كُلِّ مَحْدُودٍ، وَشَاهِدٌ كُلِّ مَشْهُودٍ،
 وَمُوجِدٌ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَمُحْصِيٌّ كُلِّ مَعْدُودٍ، وَفَاقِدٌ كُلِّ مَفْقُودٍ، لَيْسَ دُونَكَ
 مِنْ مَعْبُودٍ، أَهْلُ الْكِبَرِيَاءِ وَالْجُودِ، يَا مَنْ لَا يُكَيِّفُ بِكَيْفٍ، وَلَا يُؤَيِّنُ
 بِأَيْنٍ، يَا مُحْتَجِبًا عَنْ كُلِّ عَيْنٍ، يَا دَيْمُومٌ يَا قَيُومٌ وَعَالِمٌ كُلِّ مَعْلُومٍ، صَلِّ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَلَى عِبَادِكَ الْمُتَحَبِّينَ، وَبَشْرِكَ الْمُحْتَجِبِينَ،
 وَمَلَائِكَتِكَ الْمُقْرَبِينَ، وَالْبُحْمِ الصَّافِينَ الْحَافِينَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَهْرِنَا
 هَذَا الْمُرْجَبِ الْمُكْرَمِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، وَأَسْبِغْ عَلَيْنَا فِيهِ
 النِّعَمَ، وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ الْقِسْمَ، وَأَبْرِزْ لَنَا فِيهِ الْقِسْمَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ
 الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَأَضَاءَ، وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ،
 وَاغْفِرْ لَنَا مَا تَعَلَّمْنَا وَمَا لَا نَعْلَمُ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرَ الْعِصْمِ،
 وَاكْفِنَا كَوَافِي قَدْرِكَ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِحُسْنِ نَظْرِكَ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى غَيْرِكَ،
 وَلَا تَمْنَعْنَا مِنْ خَيْرِكَ وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا كَتَبْتَهُ لَنَا مِنْ أَعْمَارِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا
 حَبِيبَةَ أَسْرَرِنَا، وَأَعْطِنَا مِنْكَ الْأَمَانَ، وَأَسْتَغْمِلْنَا بِحُسْنِ الْإِيمَانِ» هذه
 العبائر واردة على لسان الحقِّ الحجة ابن الحسن صلوات الله عليه
 وعلى آلبائه أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

فأين نحن من هذه الكلمات والكنوز الكافيات؟

انظر إلى المخترعات من الأجهزة الدقيقة وما يُرفق معها من تفصيل الأجزاء المُخترَع، فيه تفصيل لأجزاء المخترع، فمن الكتاب تعرف عظمة المُخترَع وهذا الكتاب وضعه الصانع.

فالأمر في مقام المُحدث كذلك من وجه، وليس في ذلك تعطيل، فلا أمان لمعرفة الذات إلاّ الاثبات وكيف السبيل؟ فإننا على سبيل محمد وآل محمد عليهم السلام: يا مَنْ دَلَّ على ذاته بذاته وتترّزه عن مجانسة مخلوقاته، فلا يمكن أن تكون الذات محلاً للمقايسة والمقارنة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يدور مدار الحق، هذا وصلى الله على محمد وآل محمد، صلاة تامة عدد ما في علم الله ودوام ملكه، صلاة نسعدُ بها في السُّعداء ونصيرُ بها في زمرة الشُّهداء.

العاشر من ذي الحِجَّة الحرام

عام ١٤٣٢ هـ.ق

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
- كلمة المُعَدِّ	٥
- نُبذة عن الشَّيخ الدكتور عبدالكريم العُقيلي	٧
- مقدِّمة سماحة الشَّيخ الدكتور عبدالكريم العُقيلي	١٠
■ المحاضرة الأولى	١٣
- تنويه وتنوير.	١٧
- مناقشة أنَّ الوحدة الحقَّة الحقيقية عين الذات.	
- التناقض البين في نفي معرفة كُنْهِ الذات، وفي وصفها والحديث عنها.	
- نظرية السَّيد الطباطبائي في تفسير الميزان في تنزيه الذات عن الاسم والصفات.	
■ المحاضرة الثانية	٢٦
- رأي مشهور الفلاسفة في عدد الصفات الذاتية.	
- مناقشة السَّيد الطباطبائي المشهور في صفتي الكلام والإرادة.	
- التحليل العقلي عند السَّيد الطباطبائي لصفتي السمع والبصر الذاتيتين.	
- الردُّ على مُدَّعى السَّيد الحيدري من إتياف كلمة العلماء على عينية الصفات.	
- المكاتبات بين العلَّمين السَّيد الكربلائي والشَّيخ الكمباني ونتائجها.	
- ردُّ قاطع على تناقضات ما ذكره السَّيد من عينية الصفات للذات.	
- تراجم هامة في حواشي المتون لكلِّ من القاضي القمي، والشَّيخ الكمباني، والسَّيد الكربلائي، والشَّيخ العطار النيشابوري.	
■ المحاضرة الثالثة	٧٣
- مناقشة موضوعية لقول السَّيد، بأنَّ الذات مملوءة بالكمالات.	
- حقيقة نظرية الملاء صدرًا «بسيط الحقيقة كلِّ الأشياء، وليس بشيء منها».	

الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

- كلمات قدسية للشيخ الوحيد الخراساني دام ظلّه العالي «كلمة من كلماتهم عليهم السلام تذري مليار عقل كعقل ابن سينا...».
- سرّ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ والمعنى الدقيق للأسماء.
- تصريح السيّد بأنّ الاسم الأعظم هو عين الذات، والردّ عليه.

■ المحاضرة الرابعة ٩١

- بيان روائي تفصيلي لحقيقة «الأسماء الحسنی».
- تحليل دقيق للروايات الدالة على الحمل الحقيقي لقول المعصوم عليه السلام.
- نقل روايتين من غرر الروايات سمكاً وأشدّها عمقاً.
- فذلکة المطلوب في صحيحة هشام، وسرّ السؤال عن اشتقاق الأسماء.

■ المحاضرة الخامسة ١٠١

- تحقيق رائع لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
- الردّ القاطع على مدعى السيّد الحيدري في أنّ الآية معناها «ليس كمثل ذاته شيء».
- بحثٌ تحقيقي في «الكاف» في قوله تعالى ﴿كَمِثْلِهِ﴾.
- عرضٌ للآيات القرآنية التي تشير إلى المثل، وما يتمخض منها.

■ المحاضرة السادسة ١١٣

- الردّ العلمي والنقض البرهاني على نظر تفسير الأمثل في تبيينه المعرفة الإجمالية للذات.
- أسرجة مضيئة في بيان استحالة المقابلة بين الذات وبين ما سواها من الممكنات على الإطلاق.
- حقيقة المثل في الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في السرّ المصون في الزيارة الجامعة الكبيرة.
- الذات لا دلالة عليها إلا الذات «يا مَنْ دلّ على ذاته بذاته».
- عرضٌ كامل لدعاء رجب، فإنّه خير دليل لمقام المنتجب.